

رواية

رُوح القلوب

الجزء الثاني لرواية بحر النور

إسلام علام

إهداء إلى

شيخنا ابن عطاء الله السكندري
ترجمان العارفين ومرشد السالكين وتاج الدين
صاحب الحكم العطائية
رحمه الله

مرة أخرى....

- الشخصيات حقيقية؟
- ربما.
- خيالية؟
- ربما.
- بها جزء من الواقع والآخر خيالي؟
- قد تكون كذلك.

من الأفضل لي ولك أن تقرأها كرواية, كرواية فقط.

*تنبيه هام

لقراءة هذا الجزء يجب قراءة الجزء الأول بحر النور

أولاً.

(31)

- يقول شيخنا عليه وله منا كل الرضا؛
"أرح نفسك من التدبير, فما قام به غيرك عنك لا تقم به أنت
لنفسك"

التدبير يا صواحيبي ثلاث, منه المطلوب ومنه المباح ومنه
المذموم, التدبير المطلوب هو تدبير ما كلفت به من واجبات
وما فرض عليك من طاعات بشرط تفويض المشيئة وهي ما
تسمى بالنية الصالحة, والمباح أيضاً تلزمه المشيئة إلا أنه في
أي أمر دنيوي, أما التدبير المذموم فهو تدبير أي أمر بدون
تقديم المشيئة, وخلاصة القول في التدبير ما قاله الشيخ أبو
الحسن الشاذلي؛ إن كان ولا بد من التدبير, فدبر ألا تدبر, ومما
أنشده سيدي ياقوت العرشي؛

ما ثم إلا ما أراد فاترك همومك وانطرح
واترك شواغلك التي شغلت بها تسترح

- لماذا يا روحنا لا ننشغل بالتدبير؟
- لأن الانهماك فيه ما هو إلا انطماس للبصيرة, ولهذا يخبرنا
شيخنا عليه وله منا الرضا؛

"اجتهادك فيما ضمن لك, وتقصيرك فيما طلب منك, دليل
على انطماس البصيرة منك"

فالتدبير يا صواحيبي مضمون لأنه من أفعال الله, فلماذا ننشغل به!, فالأفضل الاهتمام بالمطلوب منا أي العبادة والطاعة,
وكما قال شيخنا عليه وله منا الرضا؛

"سَوَابِقُ الهمم لا تَخْرُقُ أسوار الأقدار".

انفض المجلس العطائي إلا من شابة قروية مليحة الوجه دامعة العين قاضبة الجبين حاضنة لرضيع, فأخذت تخطو بهدوء هيبية وإجلالاً نحو رُوح القلوب يائسة شاكية من الحمى التي أهلكت ولدها متوسلة الدعاء لعل الله إن لم يستجب منها فسيستجيب لروح الشيخ ابن عطاء الله السكندري, فالتفتت إليها الروح برفق ورأفة مؤدبة لها:-

- خبتي وخسرتي يا مولولة, فشيخنا يقول؛

"لا يكن تأخر أمد الإعطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً

ليأسك, فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره

أنت لنفسك, وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد"

ثم أرفقت يدها اليمنى على جبهة الطفل لتقرأ السبع المنجيات,

وإذ تعم "أم الربيع" بأسرها الزغاريد من كل حدب وصوب,

والزغرودة الجماعية لا تنطلق في أم الربيع إلا مرة واحدة سنوياً

حين موعد العودة الكبرى, عودة رجالها, فقرى أم الربيع الكائنة

بالأطلس الممتد في بلاد المغرب العربي من دون جميع قرى العالم

التي تظل طوال العام بدون رجال, قرى نسائية, فما يبلغ ذكورها

الثانية عشر حتى يركلون للخارج بحثًا عن عمل أو شبه عمل،
فطبيعة القرية الجبلية لا تجعل للرجال رزق بداخلها، ولهذا فحال
الزوج شامل لم يختلف عن غيره، فبعد وصولهم أم الربيع
واستقرارهم بها، ترك روح القلوب مع روحانياتها وخرج بحثًا عن
العمل.

خرجت القروية برضيعها لتستقبل غائبها الذي ما رأى طفله
لليوم، فما أشقاها تلك الحياة التي تمنع الزوج عن زوجه والإبن عن
أبيه، بينما رُوح القلوب أدارات وجهها للقبلة ورفعت يداها بالدعاء
ناشدة متوسلة؛ إليك يا من كتبتني عندك مؤمنًا وأنت الذي كتبت في
قلبي الإيمان، أدعوك أن ترد لي ما تبقي في دنياي سالمًا غانمًا،
فالكل زال، البلد والناس، الأهل والأصدقاء، الأخيار والأشرار.
- لقد عدت يا روحنا بفضلته وحمده.

فرنت إليه سريعًا، ولم تخجلها هيبتها ومكانتها الجلييلة من أن
تركض في اتجاهه مهرولة حتى تستقبله بأحضان دافئة اشتاق
كلاهما إليها، عاد زوجها بعد هجرة مريرة ومغيب طويل، ولكنه لم
يعد بمفرده، عاد حاملاً طفلاً رضيعًا بين ذراعيه، بعد ثوانٍ
محصورة ومحدودة استغرقتها في الفرحة والاعتباط، بدأ يظهر لها
هذا الطفل الذي حسبته كخيال أو ظل يتراقص، ولكنه كان حقيقة،
حقيقة بينة واضحة لا تقبل الشكوك، شرعت أنسجة خيالها في بناء
الظنون، وجميع ما ظنته قابل للتصديق، فالزوج غائب عنها ما يربو

عن العام بأيام قليلة, فمن المحتمل ظهوره مجددًا بطفل, لا غريب في هذا, وعندئذ بدأ شامل يشعر داخله بمرارة ما تمر به مما يظهر جليًا على ملامح وجهها النورانية, فأخذ ينبهها بلسان متلعثم:-
- بالله عليكى لا تسيء الظن بي.

فقاطعته بحزم:

- أوضعك هذا يقبل الظن أو الشك؟

- روحنا, احذري أن تظلمي فما ظلم أكثر منا, ألا تتذكرين

الضييق الذي اشتد بنا في مصر؟

يا لها من كلمات مريرة على النفس والقلب والعقل, كيف له أن يذكرها بهذه المحنة العسيرة, كيف وقد حذرتة مرارًا, فهذه المصيبة لم تمحى من مخيلتها أبدًا, فلا يمر نهار أو تقمر ليلة دون استحضارها في ذهنها, وإن كان القلب والعقل دائمًا في انشغال بها تأبى أذنيها سماع ما يتعلق بها, بدأت تهدئ نفسها من الداخل وإن حاولت إظهار ملامحها على غير ذلك, فجلست على منبرها الطيني بواجهة القبلة وببيدها مسبحتها الخضراء الطويلة, فاقترب منها شامل ومد يديه بالطفل مرغبًا:-

- تلقي يا رُوح القلوب الطفل في حضنك واشتمي فيه راحة

ماضينا.

تعجبت لقوله واشتد فضولها, ولكنها أمسكت بالطفل بين ذراعيها
فقبلت رأسه وضمته إلى صدرها, وما رأى شامل هذا حتى اطمئن
قلبه بعض الشيء وجلس بجوارها وأخذ يستميلها مستعطفًا:-

- حبيبتي وروحي وروح كل قلب صافٍ ونقي, استمعي لي
بقلبك وعقلك, مستحضرة روحك القديمة مندمجة مع الحديثة,
فالمستقبل بين أعينك والماضي مستوغل في قلبك, فما أقوله
لك الآن هو تاريخ منه ما مضى والكثير منه ماضٍ فيما بعد.

(32)

لا تتفهم علا سبب رفض الصاقر القاطع لاقتراحها بزواج أنس ورواية لإكمال خطتهم الموضوعية, فأرسال رواية لمعقل العالم الجديد يتطلب إجباريا أن تصبح امرأة ممارسة, وهذا أمر لن تتقبله رواية من أي رجل وإن كانت خاضعة لكل أوامر الصقور من أجل عودة أنسيموس فهذا ليس بمبرر لأن تجبر على الزواج والممارسة بمن لا ترغب, وإن كان زواجًا مؤقتًا, فلم تجد علا في دائرة تفكيرها رجل أقرب لرواية من أنس, ولكن حينما طرحت فكرتها أثناء الاجتماع مع شيخ الصقارين بالقاهرة لبحث ووضع النقاط والمراحل الأخيرة كاختيار وتأمين المقرات الجديدة, واستلام الأجهزة الإلكترونية والكيميائية, وتقديم قائمة بعناوين الأبحاث الفكرية والتاريخية والدينية المطلوب إعدادها من متخصصي وباحثي القبة, غضب الصاقر بشدة صائحًا بحزم:-

- هذا ما لا يمكن حدوثه, فأنس ورواية من المحال أن يجتمعا

سويًا.

استنكر شيخ الصقارين هذا الرفض وطلب من الصاقر توضيحًا إلا أنه أبى الإفصاح لأمر بداخله مما جعل الأمر يتكون في عقيدة كبير الصقارين بأن الصاقر يخشى غضب أنسيموس فيما بعد, أو أنه يخشى غيرة قصة لزوجها والتي لن تستطيع أن تتحكم بها مهما كانت عقلانية مما سيؤدي لخلق توتر بينهما, ولكن علا لها تفسيرها

المختلف وهي وقوع الصاقر في شباك الحب العمياء, كل له تفسيره الخاص ولكن أي التفسيرات هو الحقيقة, لا علم إلا للصاقر, لم ينتشل علا من الاستغراق في التفكير بداخل مكتبها إلا دقائق هاتفيها المحمول, فما أن وجدت المتصل زوجة صلاح حتى بادرت بالاستجابة, فصرخت المتصلة بها باكية مذعورة:-

- علاااا, سماء اختطفت أثناء عودتها من المدرسة.

كارثة لم تكن في الحسبان, فزعت علا ولكنها حاولت أن تهدئ من روعها, وبمجرد أن أغلقت المحادثة حتى استفسر نائبها عن سبب هلعها, فلما أخبرته تألم كثيرًا قبل أن يقول:-

- لم يكن من المفترض تركها للعودة.

- كان من الطبيعي أن تعود لبيتها وكأنها أنهت المنحة التي نالتها.

- كان يجب علينا حمايتها بعد العمل معنا.

فكرت قليلاً قبل أن تستفسر:-

- هل تقصد اختطافها قد يكون متعلق با.....

فقاطعها مجيباً:-

- بكل تأكيد.

فقامت مرتبكة من كرسيها لتلملم حاجاتها دليلاً على انصرافها, فنبهها قائلاً:-

- أين تذهبين, علينا أولاً تبليغ الأمر للصاقر.

- الصاقر حلق للأقاصي مع الصحرويات لإختيار المقرات بنفسه في تلك البلاد التي لا نعلم سنعود منها أم لا.
- ما زالت الصحراء الغربية هي المقترحة!؟, الأجواء مشتعلة هذه الأيام وأنت تعرفين حساسية الموضوع وخطورته سواء مع المغرب أو الجزائر.
- ومتى كانت الأمور هادئة هناك, ربنا يرحمنا ويرحم هذا الشعب المشتت بينهما
- وفي طريقها للخروج بعد أن فتحت باب المكتب وقفت واستدارت باتجاه نائبها مستأنفة:-
- عليّ الذهاب الآن لعائلة صلاح أولاً, ثم سأتجه لرواية بدير مواس لتأمينها بنفسي مع مجموعة المثلث العشري, بينما أنت أعلم الصاقر بالتجديدات, وأبلغ منفردة المصدر بالاستعداد والبدء في البحث لمعرفة كل ما يتعلق بالاختطاف.
- وفي غضون ساعة كانت علا في منزل صلاح لمواساة أصدقائها, وهناك علمت من الضباط المنتدبين للقضية أثناء حديثهم مع صلاح بأن منفذي العملية من المحترفين الذين لا يخطئون أبداً.

(33)

على أبعد نقطة بيايسة أفريقيا المتصلة ناحية الغرب التي تطل على المحيط الأطلسي حيث شبه جزيرة الداخلة التابعة للصحراء المغربية كما تريدها المغرب أو جمهورية الصحراء العربية الديمقراطية كما يريد لها شعبها والذي يمثله سياسياً وعسكرياً جبهة البوليساريو (الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب *Frente Popular de Liberación de Saguía el Hamra y Río de Oro*), والتي تأسست في 1973م, والمدعومة بشكل كامل من الجزائر, والمغضوب عليها بشكل كلي من المغرب والمصنفة بالإرهابية كمثل أي معارضة في بلادنا العربية, في حين أن سكانها البالغ نصف مليون يعيش أسوء الظروف الاقتصادية والمعيشية والصحية في هذه البيئة معدمة الظاهر غنية الباطن المرغوب فيه من الجميع, غير أن السلطان المغربية والجزائرية تتاجران بهما في الأوساط العالمية على مدار أربعين عام غير معتبرين لتلك الأنفس التي من حقها تقرير مصيرها, وهي قضية سهلة ممتعة لأنها نتاج افتعال من الجانب الجزائري والمغربي على حد سواء إمتداداً للخلافات المستجدة والمتجددة بينهما منذ استقلالهما عن المحتلين الفرنسي والإسباني, والتي يستنكرها أي عربي من غير محيطتهما, فلماذا تتخاصم وتتنازع المغرب والجزائر وتقوم بينهما كل هذه الخلافات وما

يجمعهم أكثر مما يفرقهم بكثير, فوحدة الأصل والدين واللغة والعادات تجعل من المغرب العربي شاملاً تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والصحراء قوى كبرى مؤثرة ومحركة للشأن الأفريقي بالكامل, غير تقوية جبهتها الداخلية في مواجهة الأيدي الخفية والقوى الناعمة لفرنسا وإسبانيا المتواجدة حتى اليوم والمحركة لكثير من الأحداث والقرارات.

بمجرد وصول الصاقر لميناء الداخلة استقبلته الفريديات الصحروية بالسيارة السياحية المجهزة ليتجه جنوباً بعيداً عن المدينة والأحياء الشمالية سالكاً طريق الميناء الرئيس إلى أن وصل لنهاية اليابسة شرقاً في غضون 23 دقيقة حيث مدرسة تعليم ركوب الأمواج بموقعها المتميز الخلاب والتي تشتهر بها الداخلة عالمياً ويأتيها السياح الرياضيون من جميع الأنحاء والبلدان, والمعروفة في لهجتها المحلية بالركمجة, والتي حجز بها الصاقر كسائح رياضي لتدبير المقرات الآمنة بعيداً عن مناطق النزاع المسلح ولحساسية علاقة القاهرة مع العواصم المغاربية المتنازعة في الأمر, وبعد أن استلم الصاقر الخيمة خاصته على الشاطئ غاص في نوم عميق, وما أكملت الساعة دورتها حتى أيقظته الفريديات لرسالة عاجلة مفادها اختفاء سماء والعقل وبعض من الأدلة ترجح ارتباطها بطبيعة عملها مع القبة, فاعترض على ذهاب علا لرواية في هذا الوقت مبلغاً إياهم:-

- العدو متربص بنا, ما أراد إلا إزعاجنا حتى نقع في خطأ
يمكنه من تعقبنا مرة أخرى.

وأصدر تعليماته بصدد هذا الشأن, وصول الهواء العليل إليه من
كوة الخيمة شجعه على مغادرتها وقطع رحلة النوم ليستلقي على
الرمال اللامعة بفعل ضوء القمر محلّقًا ببصره في ذاك الذي يشبهه
في مراقبة الجميع على حقيقتهم, وأثناء تأمله في سر القمر وجماله
تذكر تلك الليلة المشابهة في القاهرة مع أم إسحاق بينما كانت تروي
له القصة الأعجب في حياته وإن لم تكن الأعجب في حياتها بعد
قتلها هي وصديقتها نهرو آبائهم وأمهاتهم وحرقهم بمرآكبه, فبعد
أن أخبرته باتجاه كل منهما لصنع حياتها بنفسها سألتها الصاقر:-

- وكيف صنعتي حياتك؟

- كانت حياة طفولتنا مشتركة, وحياة مراهقتنا مشتركة, ولهذا

كتب علينا أن نكمل الفصل الأخير فيها مشتركة.

لاحظت عليه علامات الحيرة والاستفهام فتابعت مسترسلة:-

- بعدما حدث ما حدث, خرجت أنا ونهرو من الماء لنجد أنفسنا
على الشاطئ, ولم يسبق لنا التعامل مع العالم الخارجي إلا في
حدود الحياة المدرسية, فأخذتني قدمي لمتجر عيسى ذاك
الذي دافع عني وتوطدت صداقتنا بإشارات الأعين في الذهاب
والإياب, فوجدناه وقد أغلق غالبية باب متجره تجنبًا لآثار
الفتنة الواقعة في المنطقة التي غالبًا ما تصيب المسالمين أكثر

من المشاكسين, فقصت عليه مجمل حكايتنا فلم أجد منه إلا كل إشفاق وإحسان مع استنكاره ونفوره من فعلتنا, وعرض علينا العمل معه في متجره مقابل المسكن والمأكل, وإن كانت زوجته لا تكمن كامل المحبة لنا مثله ولكن تفهمنا الأمر على أنه غيرة كطبيعة نسائية معتادة, وقد علمنا بمظهرها الحجابي أن عيسى مسلم.

ولكن نهرو بطبيعتها المغامرة والجريئة أرادت اكتشاف الدنيا فلم تحرر من عبودية الوالدين لتوثق نفسها بقيود عمل أو صاحبه, فخلفتني من وراها وسعت في اليابسة الواسعة كما كانت تسميها, ومرت الشهور وبدأ عيسى يميل لي بنظرة تلو النظرة حتى عرض الزواج بي مقابل أن أسلم, أو حتى أتتصر فهو أهون عليه من أن أكون كافرة بكل الآلهة, إلا أنني رفضت اعتناق أي دين خوفاً من الالتزام ومسئولية العبادة, فالحرية أو الانحلال كما يحب أن يسميها المؤمنون لها بريق خاص, وكنت أتوقع أنها السعادة الأبدية, فما تركت شيئاً حرمة اليهودية إلا فعلته, وما تركت شيئاً حرمة المسيحية إلا فعلته, وما تركت شيئاً حرمة الإسلام إلا فعلته, إلا أنني ما أدركت اللذة والسعادة سوى لحظات وتنقضي وأكون أتعس البشر, فبالرغم من كل ما قمت به وما مارسته من شهوات بمجرد نظرتي لمؤمنة حقيقية من أي دين تعبد ربها كانت

تضيع كل لذاتي ولا أتمنى إلا أن أكون كأحدى المؤمنات هؤلاء, وفي تلك الفترة من التخبط الفكري والتناقض العقلي إذ بنهرو و تعود وتنقلني لمرحلة جديدة و حياة مختلفة, حياة المال, المال فقط, أخبرتني بقصتها وكيف أنها وجدت دينًا للأغنياء والالتحاق بطائفته مريح ماديًا لما يقدمه من رواتب و امتيازات من أجل الإيمان به...
فقاطعها الصاقر مستفسرًا:-

- أيهم؟ لأن لدينا الكثير منهم في هذه الأعوام الأخيرة, فلا نعلم كم دين وكم طائفة ستخرج علينا قريبًا.

- طائفة الأدفنتست **Adventist** هل تعلم حقيقتها؟

أطرق الصاقر رأسه قليلًا ثم قال بتحسر:-

- الأدفنتست!, وهل يخفى الشر, أنشئت بأمريكا وللأسف سمح لها بالتواجد في مصر قانونيًا, بدأت بقرية بني عدي بأسيوط إلى أن أصبحت 16 كنيسة حاليًا, ترأسهم الكنيسة الأم برمسيس, وهم على عكس جماعة "شهود يهوه" الممنوعة قانونيًا في مصر ولكنها تتواجد سرّيًا عن طريق الأدفنتست, ولهذا حاربهم البابا شنودة كثيرًا وما زالت جميع الطوائف المسيحية لا تعترف بهم دينيًا, وإن كانت الدولة تعطيهم الحق في ممارسة الشعائر وإقامة الكنائس!.

سكت الصاقر وسرح بخياله قليلاً وعندما انتبه إعتذر لنيلوس راجياً منها أن تكمل قصتها, فواصلت حديثها:-

- ما فهمته وقتئذ من نهرو أن الإيمان بها وإعتناقها يقوم على الكثير من المكافآت والمرتبات التي جذبت راغبي المال حتى وصلوا في مصر لألف شخص بالرغم من تكفير جميع الكنائس لهم, ومع تظاهر نهرو بالإيمان والاندماج في مجتمعهم استطاعت أن توقع في شباكها أحد قساوستها الكبار والمسئول التنفيذي بالمكتب السري وهو ملياردير كعادة معظم الملتحقين بمثل هذه الطوائف, الذين يريدون احترام الناس لهم وتقديسهم مقابل ما يهبونهم من مال في شكل من أشكال العبودية الحديثة, ولكن اكتشفت نهرو بعد الزواج منه بوجود مرض في الرحم مما يمنع الحمل الطبيعي أو حتى الحقن المجهري مما يحرمها من الإنجاب, ولهذا بناء على نصيحة الطبيب فالحل الوحيد هو تأجير رحم حيث يقوم المختبر بزرع حيوانات الأب وبيوضات الأم داخل رحم الأم البديلة, والتي طلبت مني أن أكون أنا الأم البديلة فلم تجد أقرب مني لحفظ السر, فوافقت بعد تفكير طويل مقابل مليون دولار لمعرفة غنى زوجها الفاحش, ولتجربة هل سيحقق المال السعادة الأبدية كما أرجو أم لا!.

- ومن المؤكد كان إجراء الفحوصات الطبية و عملية الإخصاب خارج مصر لأنها محرمة دينيًا وقانونيًا, ولا توجد دول تسمح بها قانونيًا ودينياً في الشرق الأوسط إلا إيران والكيان الصهيوني.

- بالفعل, فمن خلال سلطة زوجها الدينية والمالية سافرنا بكل يسر وسهولة لإسرائيل, وكانت المفاجأة لي أن المشكلة لم تكن في الرحم فقط ولكن كانت في بويضات نهرو والتي أخفت الأمر عن زوجها حتى لا يهملها أو ينفصل عنها, ففهمت مقصدها بأن يتم التلقيح ببويضاتي على أن تنسب إليها مع أنني سأكون الأم الحقيقية ولست البديلة, وللأسف وافقت بعد أن عرضت عليّ مليوناً آخر خلسة عن زوجها, وبكل صراحة في تلك الفترة لم أفكر من الناحية الدينية أو الإنسانية أو حتى الأمومة, كل ما كان يسيطر عليّ أن أمتلك المال, المال فقط, فأخذوا مني البويضات وسجلوها باسمها بدون أي اعتراض أو مانع من قبل المستشفى فهناك كل شيء متاح, وحملت من زوجها وأنجبت للندنيا طفلة نقية جميلة تحمل كل الصفات الرائعة, وأتذكر تلك الليلة التي عدنا فيها لمصر في مطار القاهرة الدولي حيث رأها والدها لأول مرة وسألنا عن كيف كانت الرحلة وماذا فعلنا وكيف كانت عملية الإخصاب

فارتبكت نهر و خوفاً من أن أروح بشئ فقالت لزوجها بطريقتها
الجريئة والفكاهية؛ هذه البنوتة قصتها قصة,
ولهذا علق بذهنه الاسم فسامها بقصة.

تعجب الصاقر وفوجئ بالتفاصيل الغريبة والمتداخلة وإن كان
على علم بأن نيلوس, أم اسحاق وأم رواية, هي والدة قصة أيضا,
ولكن لمعرفته بما هو أعجب وأغرب حثه ليسألها في عجلة لمعرفة
تفاصيل البقية:-

- وماذا بعد؟

- كانت نهر و مصابة بالسرطان وهذا ما منعها من الإنجاب,
ومضى شهر وراء شهر إلى انتقلت للسماوات, وأوصتني
بتربية قصة ومن ذلك الوقت وأنا أعتبرها ابنتي, إلا أنها في
الحقيقة ابنتي, واستطعت أن أقربها مني خاصة بعد أن أهملها
أباها بعد معرفته بالحقيقة, فاتجه لحياته وتزوج وأنجب, أما أنا
فتأثرت وتألمت كثيراً بموت نهر و, ولم أجد السعادة المرجوة
التي كنت أظنها في المال, ولهذا وافقت على الزواج بعيسى
لأنه كان محب بصدق ومخلص لي دوماً, وقبلت طلبه باعتناق
الدين على أن أجرب بداية باليهودية إلى أن أصل لما يعجبني
ويقنعني أكثر, وتزوجنا ومضت الأعوام وبجانب إهتمامي
بقصة وسؤالي عنها الأسبوعي أنجبت اسحاق إبني الأكبر
ومن بعده حملت في ابنتنا إلا أن زوجة عيسى الأولى قد

عرفت بزواجنا فاقتحمت منزلنا ذات ليلة وفي يدها طفلهما وهي غاضبة حانقة عليه وإذ بالكلام يأخذ مجرى التهديد والوعيد بين كلاهما إلى أن حدة الغضب زادت مما دفعها لركله بقوة فسقط من النافذة قتيلاً, وكنت قد أخذت إسحاق وخرجت من الغرفة ومعنا ابنتهما أنس!, وبعد شهور قليلة خرجت ابنتنا للنور, وعندما رأتها قصة في زيارتها لي سألتني عن تسميتها فقلت لها؛ إن كانت لحكايتك قصة فلحكايتها رواية.

كان الصاقر وصل لحالة تعجب ودهشة بلغت أقصاها أما نيلوس فلم تمهله وقتاً لإستيعاب الأمر وأردفت:-

- أما والد قصة فبعد أن اعترفت له نهرو بالحقيقة على فراش الموت لم يستطع أن يجفو على ابنته وإن أبعدا عنه بعد أن تجوز وأنجب, ولكن ما ترك نوع من العذاب إلا وأسقاني إياه أنا وابني إسحاق وهذا ما دفع إسحاق لينتقم لنا من بنته كلارا, كلارا أخت أنسيموس!!.

فأحجم الصاقر لسانه, وأمسك رأسه بكلتا يديه لتحملا معه بعض من الصداع الذي أصابه, فلم يعد يعرف من أخ لمن ومن أخت لمن.

(34)

مع الشروق تذهبن نساء أم الربيع للسوق الجبلي لجلب احتياجاتها من أدوات وخيوط, فالجميع هنا لا عمل له إلا السجاجيد أو صناعة الأكل المحلي للعابرين بالمقاهي البدوية على طول الوادي خلال فصل الربيع, فالمهنة المفضلة والمحبة والمشتهرة بها غالبية نساء أرياف المغرب هي النسيج, فالיום بطوله يصنعون السجاد ولا شيء يتقنونه ويحبونه مثله, وبعض المناطق الأخرى تعمل نسائها بصناعة زيت الأركان المتفردة به المغرب في العالم بأسره, أما النساء الأكثر فقرًا فيعملن بجمع الحطب من الجبال مقابل مقياضتها ببعض من الطحين أو ببعض من الدراهم التي تدخر للشتاء القارس والمميت.

منذ أن توافدت رُوح القلوب عليهن وجميع نساء عيون أم الربيع مع حلول الشمس تتوافد أفواج أفواج عليها لأخذ البركة اليومية لعل الرزق يكثر أو المرض يزول أو الخاتمة تحسن, كل بحاجتها, وحتى يتعلموا الحكمة اليومية لشيخها ابن عطاء الله السكندري, ولكن هذا اليوم كان على غير العادة, فلم تكن الروح الجلييلة تصلي أو تسبح أو تقرأ قرآن كالمعتاد, ولكنها جالسة في مقامها المفضل فوق جذع الشجرة الصخرية الطالة على شلات عيون أم الربيع الخلابة التي لا يضايها في جمال طبيعتها جمال, وإن كانت هذه الجغرافية مع روعتها وسحرها إلا أنها قاسية على أهلها في تضيق

العيش حتى أنهم يتغنون بها في لغتهم الأمازيغية كأنه بئر جاف سقطت به جميع النساء, تلعب الروح مع الطفل مرحة مداعبة, مما ظهر على الأعين ما تخفيه الألسن, فخشت عليهم سوء الظن فانتصبت مخاطبة فيهن:-

- أيتها النسوة الصالحات لهذه الأراضى الصالحة, أيتها النساء الطيبات صواحب هذه الأرض الطيبة, منذ أن وطأت قدمي أرضكم لم تروا مني إلا كل حسن, من طلبت المشورة شورتها, ومن طلبت النصيحة نصحتها, ومن طلبت العلم ازادتها, ومن طلبت قرب الإمام أرشدتها للطريق, وهذا الطفل هو لأعزة لي من بلادي أم الدنيا طلبوا مني أن أراعيه لحين أن يشاء الله له ولهم, ويقول شيخنا عليه وله من كل الرضا؛
"تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما

حجب عنك من الغيوب"

فاجعلوا دوما إنشغاكم بأنفسكم أكبر وأقوى من إنشغالكم بغيركم, وسيرن لأعمالكم على بركة من الله واجعلوا قول الشيخ نصب أعينكم؛

"ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب

راغب".

(35)

كم لهذا القصر من رائحة تاريخية تفوح من بين جدرانه،
تتخيل رواية في هذه الغرفة أو تلك التي كان يناقش فيها خليل لبيبة
بعد أن عاد من إنجلترا وكان أول مصري يلتحق بجامعة أكسفورد
عام 1912م لدراسة الزراعة، لا تستطيع تفسير تعلق قلبها بخليل
ولا حتى عقلها الذي يعجز عن فهم نظرية خليل الخاصة، فكيف
لمثله بعد أن تعلم في بريطانيا العظمى وكان مرشحًا ليكون ناظرًا
للزراعة لدراسته ودرجته العلمية من أعرق الجامعات العالمية أن
بعد عودته بأربعين ليلة فقط أن يقود أهم وأكبر حدث صعيدي في
سلسلة أحداث ثورة 1919، لماذا لم يفضل تبعية الإنجليز؟!، لماذا لم
ينطوي تحت جناح المحتل والمغتصب تحت أي اسم من الأسماء
المزيفة التي يبررون بها بيع الوطن والدين؟ لماذا وقف أمام أكبر
وأهم وأقوى قوة عسكرية في ذلك الزمن؟ هل فعل هذا حقًا من أجل
الفلاحين، أم من أجل نفسه؟، ألم يعرف إنجليزيات هناك، ألم
يعشقهن؟ أم حبه لدولت كان أعظم، ألم يتعلم الرقي والتحضر في
المأكل والملبس؟ أم التقاليد الصعيدية كانت متوغلة في قلبه وعقله؟
ما هذه الشخصية الفريدة والعبقرية في ذلك الزمن العصيب، أغلب
زعماننا الوطنيين قاوموا المحتل لما رأوا البلاد عليه، أما خليل
فانقلب لما رآهم عليه، هذا النفاق الواضح في حياتهم وفكرهم
وعلمهم، في بلادهم صنعوا كل ما هو خير ونفع وأسسوا مبادئ

الحرية والكرامة والتكافل, أما في بلادنا فصنعوا وأسسوا كل ما يؤدي للخراب والذل والظلم, أسنا بشر مثلهم, أم هم بشر ونحن بشر, هذا ما أدى بجدنا المصري والصعيدى الدكتور خليل الذي لم ينبج أن يقاومهم ويكافح من أجل هذا الفلاح الذي هلك وأهلك في ذلك الزمان.

تحاول رواية عبثاً فهم شيء من المخطوطة التي بين يديها, والتي يصعب عليها التعامل معها لعدم دراستها وخبرتها في التعامل مع المخطوطات الأصلية, فليس الفضول وحده هو ما يجعلها تجاهد في فهمها, بل الملل أيضا الذي ساد قصر العمدة بعد مغادرة كل من الصاقر وعلا وعلاء, ومغادرة أنس وقصة بصحبة طفلها, مطالبين إياها بالصبر لحين ترتيب الأمور المتعلقة بالخطة الموضوعية, وبينما هي كذلك, إذ بالخالة توحيدة تدق الباب دقاً سريعاً لتخبرها بوصول مرسال بأمر عاجل, فتلهفت للقاءه سريعاً لعل تجد خيراً معه مما يخبر عن الحاضر الغائب أو يكشف عن المستقبل المجهول, ولكن أول ما قاله لا يبعث على الخير كالعادة:-

- عليك الذهاب لمطار أسيوط في الحال.
- سوف أفعل, ولكن ما الأمر؟
- الأمور لا تسير بخير, كل ما عليك فعله الآن الذهاب لهنالك بمفردك وهناك ستجدين من يرافقتك.
- لا, هذا مستحيل! كيف لي أن أصل لهذا المكان.

- هذه أوامر الصاقر, اذهبي كغيرك من الناس, سوف ينقلك توك
توك بالقرب من محطتي القطار والسيارات ومن هناك تعاملي مع
الأمر بتلقائية.

- لماذا تتركونني بمفردي هكذا؟

- هذا من أجل حمايتك, في هذه الفترة أفضل مخبأ لك هو بين
العامّة, فهيا أحزمي أمتعتك في الحال للمغادرة.

وصلت رواية للموقف الكائن أمام محطة القطار, وبين تردددها
بين القطار أو سيارات الأجرة, لاحظت سيارة أجرة كتب على
زجاجها الأمامي ديرمواس - أسيوط, وكانت السيارة في خطواتها
الأولى لتسلك طريقها الأسيوطي, وكان واضحاً أن المقعدين
الأمامين المجاورين لمقعد السائق فارغين, فهرولت نحوها مسرعة
لكي توفر على نفسها الكثير من الوقت في الانتظار, وحينما توجهت
للسائق تبين أنها أنثى, فلم تمنعها المفاجأة من طلبها, فأجابتها
السائقة:-

- وددت لو أن الحقك بي, ولكن عذراً فأنت ترين إبني المريض
بجوارِي.

وألقت الاثنتان نظرة عابرة للصبي ثم توسلت رواية:-

- أنا في عجالة من أمري, أتمني أن تأخذيني معك لحالة طارئة.

فكرت قليلاً قبل أن تجيب:-

- لست ممانعة, لا أحد يرفض رزقه, من الممكن أن تصطحبينا
ولكن عليك أن تحملي إبني بجوارك راعية له طوال الطريق.
- على الرحب والسعة, أشكرك.
دنت الأم إبنها لصدرها لتيسر لرواية الجلوس ثم ردت له لموضعه,
أخذت رواية تلاعب الصبي لتخفف ألامه ومن حين لآخر تلقي
نظرة له ونظرة للأم, ومن داخلها تتعجب لتلك الأنثى التي تقود
الميكرو باص متحدية الواقع والمجتمع, وإن لم يكن هذا غريبًا عنها
فهي تذكر ذات مرة أنها رأت سيدة تقود تاكسي بالإسكندرية, ولكن
في الصعيد أمر غريب بعض الشيء, مع تكرار نظرات رواية لها,
بادرتها بالحديث:-

- لماذا تتعجبين هكذا وتنظرين لي بهذه الغرابة؟
- أعتذر منك, لم أرد مضايقتك وإنما فضولي يلح عليّ.
- لا عليك, كل من يرأني لأول مرة ينظر لي نفس النظرة.
كانت على مقربة من كمين الرحمانية الشرطي المعروف بحزمه,
فأخرجت ورقة نقدية بقيمة مائتي جنيه وأطبقتها بين يديها وما أن
وصلت للمطبخ الصناعي حيث يقف الأمين حسن, فأعطتها له في
يديه بخفاء, فقال متعصبًا:-
- ألن ننتهي كل أسبوع من مناقشة هذا الأمر, ما هذه القروش
التي تعطيني إياها؟

- سامحني يا حضرة الأمين, خذ خمسين وأوصله مائة
وخمسون جنيه.

- لا, بالنصف, سوف أخذ مائة وأعطيه مائة.

- كما تريد يا سيد الناس, المهم طمئني كيف حاله؟ أصحته
جيدة؟

- لا تقلقي, إنه في أتم صحة, أنا سمعت أنهم سوف يترحلون إلى
سجن الوادي الجديد الأسبوع المقبل.

- هل انتدب له محام؟

- المحام مصاريف زائدة بلا أي طائل, الجميع أحكامهم صادرة
ومصدق عليها من قبل أن يتم ضبطهم, الجميع في عداد المغضوب
عليهم ولن يخرج أحد منهم إلا حينما تزول هذه اللعنة.

أنهى الشرطي كلامه وأشار إليها بعينه بما يفيد التحرك حتى
لا يلاحظهم أحد, فتركته خلفها وأكملت سيرها في الطريق الذي لن
ينتهي, وبدأت عيناها في السكب مما أعجب رواية فلم تتخيل أن هذه
السيدة التي تصمد هكذا في مواجهة المجتمع أن تبكي بهذه الحرقه
والذعة, ونظرت لإبنتها فوجدته يغوص في النوم وقد تكوم في
حضن رواية المرتجفة والقلقة, فقالت لها مطمئنة بعد أن كففت
دمعها:-

- لا عليك, لا تقلقي, أنا بخير.

- هل لي أن أسئلك عن كنت تتحدثين؟

نظرت لطريقها وبعد برهة قصيرة قالت:-

- إنه زوجي, بعد الأحداث الأخيرة قبض عليه كما قبض على

غيره, ولهذا أعمل سائقة أجرة حتى أنفق على بيتي.

- أي أحداث؟

- أحداث جمهورية دلجة المحروسة.

- هل عم الظلم والطغيان في دلجة حتى يطال الناس لهذا الحد

الجنوني؟

- نعم الظلم طغى حتى طال الأغلبية وذهبت ناس لا ناقة لها ولا

بعير, ولكن زوجي أحسبه ليس بالمظلوم, لقد رزق على قدر ما

نوى, فهو تاجر متوسط الحال, ذو لحية, يبدو ملتزم, دوما ما يتطلع

لمستوى أعلى وحال أفضل, ممن يلتفون دائما حول ساسة القرية

في المصالح والانتخابات, وإن كانت قرينتا لها شأن كبير في الرقعة

السياسية المحلية فالأغلبية من أهلها ليس له اتجاه محدد, كل وله

طريقته كالمصريين عموماً, فبعضهم من أهل التعريض الصريح

والتطيل العلني والبعض الآخر من المعارضين علنياً المعارضين

خفياً, فالمصالح والانتفاعات الشخصية هي من لها فصل الخطاب

في تحديد أي اتجاهات النفاق يسلك.

انشغلت بالحديث عن الطريق فغدر بها, وإذ بالسيارة تقف

رأساً على عقب لتغرق في دمائها بينما ابنها ورواية في حالة أقل

سوء منها, فأوصت بالطفل وأسلمت الروح لخالقها أو هكذا رأت

رواية التي انشغل عقلها في كيفية الخروج من الميكرو باص المنقلب وحاولت جاهدة حتى استطاعت أن تتسلل للخارج بصحبة الطفل المريض, وبمجرد خروجها اقتربت دراجة بخارية تابعة للمثلث العشري كانت تسير عن بعد لحالات الطوارئ, فنقلتهما سرًا لمطار أسيوط حيث تنتظرها علا التي بررت لها ما جرى باختطاف سماء, فأحزنها كثيرًا ما حدث لهذه البريئة, صغيرة السن كبيرة العقل, وأخبرتها رواية بالطفل المجهول وقصته والذي أفرعه وأجزعه موت والدته فعقل لسانه, فأوصت علا المثلثات بنقله للمستشفى ورعايته والاهتمام به.

ما كان يشغل رواية أثناء ترحالهم المجهول كالعادة, سماء, مستدعية كل الأحداث التي وقعت بينهم وتلك المناقشات والدعابات التي تتذكرها جيدًا, وأثناء رحلتها داخل ذكرياتها تذكرت تفصيل هام, فالصابونة التي عثرت بداخلها على تلك الورقة المندسة أثناء تواجدهم بزنجبار أخذتها من سماء أثناء تواجدهم بماردين, فأخبرت على الفور علا الجالسة بجوارها, فتوقف عقل الأخيرة عن التفكير كلية واختلطت بداخلها كل الأمور وأصبح صعبًا عليها دراستها, فهي مشتتة بين تأمين رواية ونقلها للمقر الجديد, وما تخفيه قصة اختطاف سماء, وغير كل هذا, ذاك الحبيس وما يتلقاه من تعذيب,

فشعرت علا لوهلة بأن الأمور تسودّ ولا بد لها من تحجيم للإمساك
بزماتها من جديد.

(36)

غادر شامل فجأة حلقة الأحيديوس المفتون بها منذ أن قدم "لأم الربيع" لسحر أشعارها وموواليها الأمازيغية وإن كان لا يفهمها إلا أنه يتأثر بها ويتفاعل مع إيقاعها, فلنغمة الكلمات فعل ساحر عليه وعلى كل من يستمع إليها لأول مرة, بينما كانت رُوح القلوب جالسة في ثوبها الأبيض في خلوتها الفضائية وناظرها متعلق بالسما و ما يضيئها من نجوم, بينما يدها تربت على الطفل وتغرد مناجية؛

"إلهي, ما أرأفك بي, فما الذي يحجبني عنك؟! , ثم أهدقت بعينه البريئة باسمه متأمله وتلت من محفوظ الحكم؛ "ما من نفس تُبدية إلا وله قدر فيك يُضيه", ومن المعلوم للجميع أثناء مناجتها الليلية لا يقطع خلوتها أحد, ولكن اضطر شامل للمرة الأولى بالاعتذار منها مبلغًا إياها بأن الأحباب توافدوا, فقامت إليهم وإذ تقع عيناها على رواية, فإذا باللقاء بعد الفراق يشتعل وتبكيان, كانتا وحيدتين, إحداهن شمس والأخرى قمر, ولكن كل في زمانها ومجراتها, حتى اجتمعتا من قبل فتوحد قطبي النور, وإذن قد اجتمعتا ثانية, فالتقت أعينهن واجتمعت قلوبهن واشتمت كلتاهما من عطر الأخرى, ياله من اشتياق, اشتياق يتجمر, وظلتا محتضنتين نائمتين على أكتاف بعضهن البعض طوال الليل, وبعد الترحاب والضيافة الروحية من روح القلوب وزوجها شامل وهما اثنين من الرفاق التسع, علا ورواية تتعجبان وتفرحان وتشعران بأحاسيس متداخلة متضاربة,

تفرحان لما يروا على الروح من ملائكية روحانية جميلة تفوح بالجنان, وتتعجبان كيف ومتى هذا؟, ولكن حياء رواية منها صدها عن توجيه أي من هذه الأسئلة, فلم تعد مجرد تلك صديقتها, بل استقر بداخلها أنها تستحق لقب الروح حقًا, فقلوبها روح ولعقلها روح وللسانها روح ولعينها روح وكلها أرواح طاهرة تقية تبعث على الأمل والتفاؤل والطمأنينة, فكم النقاء والطيبة التي تخرج من روح قلبها, أم الأرواح جميعًا, ولكن مع أول انفراد بشامل لم تكمل رواية دورها في تمثيل وتصنع الصبر, فانفجرت بسؤالها الفضولي:-

- كيف هذا يا شامل؟

فما كان من شامل إلا أن نظر إليها بنظرة عابرة لا تحمل أي معنى ثم ألقى بعينه في المحيط المتسع حوله ولا يرى أمامه شيء, وإنما طغى الماضي عليه بحذافيره, فلم ينتج من لسانه إلا أنه قال بعد برهة طويلة من الصمت:-

- جميع التفاصيل التي سبقت معرفتها بالشيخ ابن عطاء الله

السكندري لا تهتم, وكل التفاصيل بعد معرفته تتجسد اليوم

أمامكم في التعامل والحديث والروح العائشة بيننا.

ففهمت رواية مقصده, إذن خضعت لتجربة وعاشت معها.

تعلقت الروح بأنيس الذي أنس حياتها, ولذلك عندما علمت بأنه راحل معهم أمسكت في نفسها دموعها الحزينة, فصبرتها رواية بقولها:-

- لا تحزني يا روحنا, فالله سيرزقك من شامل بأفضل منه.
- لا علم لنا بهذا, أليس خطرًا عليه ما ستقومان به؟
- لا حيلة لنا إلا هذه, وإن كان لأعلى الناس ممن تبقوا لنا.
- ابن الأحبة, دومًا ما كنت استنشق روائحك منه, فكم اشتقت لقصة وأنس وأنسيموس وبقية الرفاق جميعًا, سيروا على بركة من الله, يقول شيخنا؛ "الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية", وإن شاء الله ستعودون سالمين غانمين لنجتمع كلنا ثانية.

ثم أمسكت بصندوق خشبي صغير الحجم مطرز بأشغال يدوية متناسقة ذي ألوان زاهية, وأمدته لها بعد أن قبلته قائلة:-

- اجعليه معك, لا يشغلنك عنه أمر, في كل يوم خذي ورقة, لعلها تملئ صدرك وتؤنس وحشتك.

ثم نظرت إلى حيث تجلس علا وصاحت بها بلهجتها الرقيقة:-

- اقتسمي الإمام معها حتى يقسم بينكم الخير كما قسم بينكم الزمن والمسار.

ثم ابتعدت عنهما بثوبها الفضفاض الطائر وانطلقت بعيداً, بينما
اقتربت علا من رواية, وافتتح الصندوق فأخذت كل منهما ورقة,
ففضت رواية خاصتها فوجدت مكتوب؛
"متى أوحشك من خلقه فأعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأُنس به"
أما علا فوجدتها؛

"لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرّحى يسير والمكان
الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه, ولكن ارحل من الأكوان إلى
المكون"

(37)

أصدرت القبة المصرية التعليمات للفرديات الصحراوية
والثنائيات الجبلية بالتواصل مع المطارح المنبثقة والمجامع المتحدة
لكي تضع خطة دخول روية بالطفل لمدينة من مدن الجدار, مدينة
سجينة, بل تعد سجن مدني, إسبانية الاسم والتبعية, مغربية التاريخ
والواقع والأرض والناس, مدينة مليية, وبعدها تم التنسيق أبلغت
علا بالخطة المبدئية, فأخذت في طريقهما تشرح لرواية المرحلة
القادمة وقد وضعت أمامها خريطة مخطوطة بخط اليد:-

- مليية واقعة بالأراضي الأفريقية ومطلة على البحر المتوسط
قبال سواحل غرناطة, فمالت هي وسبته محتلتان من إسبانيا
وتفعان تحت الحكم الذاتي, محاطة بسيج حديدي بطول 12
كيلو متر وإرتفاع ثمانى أمتار ليفصلها عن بقية المدن
المغربية, يتخللها ثلاثة معابر, من أشهرها وأهمها المعبر
الشرقي الخاص بالمركبات, أما ما يهمننا هو المعبر الثاني,
معبر باريو تشينو أو ما ترجمته عن الإسبانية الحي الصيني
(barrio chino) المخصص للراجلين, حيث عبور الجحافل
الغفيرة يومياً, معظمهم من النساء الريفيات المشهورات
بالحمّلات, والتي يتعرضن للضرب والإهانة من الشرطة
والحرس المدني صباح مساء أثناء نقل وشراء المواد الخام
وحمل المنتجات القادمة من أوروبا كبضائع مستعملة لبيعها

لدول العالم الثالث حيث يتم استغلالهم لتحويل الطرود كأغراض شخصية بدلاً من إخضاعها للضرائب الجمركية، وفي أغلب الأحيان يكون أجر الحمالة لكل مائة كيلوجرام تحملهم على ظهرها عشرة يورو، ولقد أقيم هذا السياج حسب زعم الإسبان من أجل وقف الهجرة السرية، ويضم ثمانون كاميرا فيديو، وأجهزة إنذارات متعددة تبلغ الثلاثون. سوف يكون عبورك من خلال هذا المعبر بهوية مغربية وطنية كأحدى ساكنات محافظة الناظور، راجلة بين يديك أنيس وحاملة على ظهرك طرد قد يصل وزنه لمائة كيلو جرام مثلك مثل بقية النساء إلى أن تصلي لمليية حيث سمسار الأجيال يأخذك للبنك المنوي.

- البنك المنوي؟

- في مليية يوجد هناك البنك المنوي الخاص بالحشاشين الجدد، حيث تعتمد الحشاشون على تجميع عناصرها وأعضائها كأطفال بلا آباء أو أمهات، يقومون بتأجير الفتيات من جميع أنحاء العالم لتلقيحهم بالحيوانات المنوية الخاصة برجالهم الذين ينتسبون لسلالة إمامهم المزعوم، ومن ثم يحصلون على الطفل بعد فطامه، وكل هذا يتم تحت سائر لمستشفيات عالمية مرخصة دولياً يمتلك أسهمها المؤسسين الكبار للجماعة ومعاونيهم.

انزعجت رواية كثيرًا مما خطر ببالها, وقالت مستفهمة:-

- وكيف لي أن أقبل بهذا الأمر المشين؟
- لا تقلقي, هناك سمسارة تعمل معهم وهي أهل ثقة لهم إلا أنها لا ولاء لها إلا للمال, سوف تزرعك بداخلهم, بمجرد وصولك وتسلمك للطرد سيقوم عامل الشركة المستلمة بإدخالك لسيارة الطرود وإخفاءك لحين الوصول لوسط مليلية حيث ستجدين الجدارية الأشهر في العالم وهي تصور الملكة إيزابيلا تمسك مسلم كأنه الشيطان وتتهياً لقتله بسيفها, بعد 7 دقائق من جلوسك على المقعد الحديدي المقابل للوحة, ستمر من أمامك سيدة تحمل نفس طراز حقيبتك ولكن بلون أسود, ستسيرن خلفها إلى أن توصلك لتقاطع شارع مصطفى عروف ومن هناك سنبدأ التعامل معك بكيفية مختلفة.

- ولماذا أخذ أنيس معي؟

- سوف يتم استبدال أنيس بطفل من أطفالهم المزعومة بعد أن زرنا بداخله جميع الأجهزة التي تمكنا من تعقب الإشارات المزروعة بداخل أنسيموس.

أنهت علا شرح خطتها وقد لاحظت على رواية القلق الشديد

فأرادت أن تهدئ من روعها فأخذت الحديث لمسار آخر

بسؤالها:-

- هل أخذتي حكمتك اليوم من الصندوق؟

- لا, وأنتِ؟

- نعم أخذتها ولقد وجدتها؛

"من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها

بعقالها"

فأطلقت رواية يدها باتجاه الصندوق وسحبت ورقة وقرأت بصوت

مسموع:-

" متي أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك"

ثم تنهدت قليلاً وقالت بأريحية:-

- وأنا بالفعل أريد طلب أنسيموس يا الله فأعطني إياه.

(38)

- بعد أيام قلائل من رحيل الضيوف العابرين, حانت عودة شامل لموريتانيا, فدورة المخطوطات التي التحق بها أثناء دراسته بكلية دار العلوم أفادته كثيرًا, فبعد البحث الدؤوب عن عمل يناسبه أرشده البعض بعد معرفتهم بمهارته في التعامل مع المخطوطات إلى شنقيط ومكتباتها حيث آلاف المخطوطات المتكومة والتي لم تحقق إلى يومنا هذا فسعى حتى وصلها, فكانت له الطبيعة المثالية والحياة النموذجية, ولهذا اقترح على الروح مصاحبته إليها مرغباً فيها:-
- لقد ذهبت لبلدة هي مكة في سابق عهدها, هي المدينة في أول هجرتها, وإن كانت بلا رسول وبلا كعبة.
 - لأين ذهبت؟
 - الحياة الأولية والطبيعة المثالية, شنقيط مدينة بها كل ما يدعو ويذكر ببيئة كل نبي, مدينة ليس فيها أي من الوسائل الحديثة التي قد تشغلك, ليس بها سوى العلم والذكر.
 - لهذا الحد راغب فيها؟
 - نعم بها آلاف المخطوطات القيمة لأهم العلماء العرب والمسلمين, يا لروعة صفائها ونقائها, بيئة صحراوية جافة ولكن ثقافتها المتعددة تهون أي جفاف, تمطر كتبًا وعلماً, تجاوز سكانها الأوروبيون ممن أسلموا ألف شخص فروا من حول العالم وما فيه ليختبؤوا في شنقيط حيث المحظرة والكتب.

- المحظرة؟

- هي أقرب للكتاب المصري الريفى، ولكنها أوسع شعبياً
وأشمل علمياً، يدرس فيها كل ما ينفع البشر، تجدين فيها كل
الفروع لجميع المجالات، أعتقد أنه المكان الأمثل لي ولك.
- ولكن كيف لي أن أترك هؤلاء النسوة وحدهن بعدما تعلقوا

بي؟

- كما يحتاجك هؤلاء النسوة تحتاجك تلك الأوروبيات حديثات
الإسلام لتعلمهن من روح قلبك وروح إمامك عليه وله منا كل
الرضا.

فتبسمت قليلاً وأودعت يدها على رأسه تلامس شعره مداعبة:-

- يا لك من شنقيط!

فتذكر على الفور فيلم إسماعيل ياسين في الأسطول و عبد المنعم
يقولها للشويش عطية، فكم من ذكريات مصرية ونكات وإفيهات
تركوها خلفهم ولم يعد لها وجود في حياتهم، فأغرقت عيناه اشتياقاً
لما هجروه ورائهم، فشعرت به وبالحالة التي انتابته فاحتضنته
مصبرة:-

- لا تجزع يا عزيزي فشيخنا عليه وله منا كل الرضا يقول؛

"من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها" و

"ربما ورد الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك".

وبعد ثلاث ليالي شدوا الرحال.

(39)

وصلت روح القلوب لشنقيط, معقل اللغة العربية الصحيحة
والسليمة التي لا تشوبها شائبة, ما أجملها من مدينة, وما أروعها من
مكان, وما أنقائها وأصفاها, فهذا المطرح ما كانت تبحث عنه دائما
حيث الصفاء, النقاء, الطهارة, الحب, الإيمان, الروحانيات, كل ما
يحث على العبادة, كل ما يطلب التأمل, كل ما يزيد من العلم, كل ما
يترع من الثقافة, وهل بقى في العالم مكان كهذا يمنح الحياة الطيبة!,
فما زال العالم الصخب لم يلوته, ما زال العالم الرقمي لم يخترقه, ما
زال العالم النووي المتصارع لم يضربه, ما زال العالم الشهواني
المادي لم يعفنه, إنها أرض طبيعية, أناس طبيعيون, إنها الأرض
الحقيقية والبشر الحقيقيون, أين كان هذا الموضع؟ فالعالم أجمع في
حاجة إليه, في حاجة للاستجمام الروحي والاسترخاء العقلي
والهدوء الفكري.

تزامن وصولهم مع الجمعة, فصلوا في الساحة خلف الإمام,
وبعد أن سلم عن شماله اتجهت روح القلوب من آخر الصفوف
لأولها حتى اصطفت بجانبه ثم رفعت يدها لأعلى مناجية بصوت
جهور:-

"إلهي أغني بتدبيرك لي عن تدبير, وباختيارك عن اختياري,
وأوقفني على مراكز اضطراري.

إلهي أخرجني من ذل نفسي وطهرني من شكي وشركي قبل حلول
رمسي.

بك أنتصر فأنصرني, و عليك أتوكل فلا تكني,
وإياك أسأل فلا تخيبني, وفي فضلك أرغب فلا تحرمني,
وبجانيك أنتسب فلا تبعدي, وببابك أقف فلا تطردني"
فما كان من المصلين إلا أن جأهروا بصوت يخالطه العجب
والترحيب:-

اللهم استجابة

فأدارت وجهها ناحيتهم وتحدثت فيهم بصوت جهور:-
- أجنبية أنا عنكم, لست من نسلكم ولا أصلكم, كنت على ضيق
حتى هداني الله للعالمية, وسعيت حتى وصلت لروح إمامي
عليه وله منا كل الرضا ابن عطاء الله السكندري, وما أتيت
لكم إلا ما سمعته عنكم من تقية وأصالة, فإن أردتموني بينكم
فأنا متواجدة, وإن رغبتم في رحيلي فما زلت على أطراف
أرضكم فلنولي الدبر.

فقام إمام المدينة مرحبًا ومستقبلًا:-

- يا أهلاً بك يا بنيتي وبكل بني آدم أراد الطاعة والسكينة و..
فقطعه صوت خرج من بين الصفوف من أحد المتزمتين صائحًا
بحدة:-

- نحن على منهاج السلف الصالح وأهل السنة, لا دخل لنا بالصوفية ولا بادعيها ولا كراماتها الخيالية الكذابة, فلا مقام ولا مقال لك بيننا.
فردت الروح بثقة وحياء:-

- أحقا نحن أهل خيال وكذب يا عابد إياه!؟!

ثم في حركة واحدة نزعنا عن نفسها عباءتها برتقالية اللون المتشحة بها على ثوبها الأبيض ثم أدارتها في السماء حتى طارت فطالت ثم أنزلتها على الرمال وصاحت بهم:-
- فليضع كل منكم كفه على ثوبي هذا.

فوضعت الأغلبية على تملل, ومن وضع ونظر إلى موضع كفه وجده وقد رسم عليه بماء مذهب كلمات أشبه بالحكمة التي تكاد أن تنير, فتطايرت الحكم للقلب والعين فأصبحت البقعة مكسية بالحروف المنيرة لصاحب اللسان البليغ, والروح في حالة دهشة واستغراب مما حدث لتوه, ولكن هكذا الكرامات تظهر فلا يعلم المرء كيف ولماذا ظهرت, وإنما المعلوم علم اليقين أنه سبحانه أراد شيء فقال له كن فكان, ولا أفضلية لقائمه وإنما هو عبد الله قام بما قدر له, وممن وضعوا أيديهم رجل يتضح على مظهره الخارجي من لباس وملامح بأنه آسيوي, فظهر على مكان كفه؛

"لا تستغرب وقوع الأقدار ما دمت في هذه الدار"

- فسار إليها الأجنبي وجلالة الموقف ما زالت حاضرة أمامه وبداخله,
فتنحى أمامها قائلاً بلغة إنجليزية متكسرة وبصوت مبجوح:-
- ياباني أنا, لم يبلغ إسلامي ولا انتقالي اليوم العاشر بعد, ما حدث اليوم أمدني بالقوة اللازمة لإكمال ما قد سبق وقد بدأت فيه, ولكن لا علم لي بالصوفية تلك.
 - ارفع يا عابد إياه وجهك ما في الإسلام انحناء لغير وجهه الكريم, أما فيما يخص سؤالك فلقد عرف المشرق والمغرب الصوفية بتعريفات ومصطلحات كثيرة ولكن ما يرضيني منها هو؛

"صفوة القرب بعد كدرة البعد"

- اقتربت منهم في تلك الأثناء أنثى يبدو عليها أوروبية المظهر وقدمت نفسها ببلاغة:-
- أيتها الروح العظيمة, أنا إيطالية الأصل, صقلية المسكن, مسلمة العقد, إباضية المذهب, صوفية الهوى, مولوية الطريقة.
 - فاستقبلتها الروح بلغة ايطالية ولهجة صقلية جيدة:-
 - يا مرحبا بالسيتشيلانية.
 - فاندهشت لإيطاليتها وتساءلت:-
 - وكيف تتحدثين الإيطالية؟
 - لقد درستها في جامعتي, يا لها من لغة شيقة وجميلة.

- إنه لشرف للإيطالية أن تجرى على لسانك سيدتي.
- أشكرك يا عابدة إياه, وما سبب مجيئك هنا أيتها السيتشيلانية؟
- إنها بلدة نشكر التطور والتمدن على عدم صيدها واختراقها
للآن, فكما ترين هنا بلدة ما زالت بكر لم تغتصبها التكنولوجيا
بعد.

أطلقت الروح عيناها فيمن حولها فوجدت وقد دارت حولها
الدوائر من كل جانب من هيئات وأشكال وملامح مختلفة, فرحبت
بهم بوضع يدها أمامها رافعة كفها لأعلى وأخذت تستمع لتعريفهم
بأنفسهم فأخذت الألقاب تتطاير؛ فرنسية سويدية ألمانية إنجليزية
برتغالية إسبانية ألبانية صربية بوسنية يونانية إيطالية روسية
أفغانستانية باكستانية هندية أثيوبية صومالية جيبوتية أريتيرية
فصاحت مقاطعة لهن:-

- كلكن إنسان, كلكن مؤمنات, هذا فقط ما تجعلوه نصب أعينكن.
و غادرت الجمع في صحبة شامل إلى حيث مسكنه, وفي دربهم
الرملي خرجت عليهم عجوز شمطاء ساخطة:-
- أيتها الروح, ما ظهر لي إلا؛

"من علامات النجاح في النهايات, الرجوع إلى الله في

البدايات"

وآه من بداياتي آه منها

ثم تركتها وأخذت تسير بعيداً وهي تردد بأنة:-

- آ من بداياتي آه, آه من بداياتي آه
واصلوا طريقهم حتى قابلهم كوخ حجري متهاك قليلاً, فتقدمها
شامل حاضناً يدها حتى استقر بها داخله, ثم اقترب منها يلثم يدها
وقد عانقها وظل بين جناحيها طويلاً حتى شعرت بأنه سينقلب من
حضن برئ إلى آخر شهواني, فامتعت عنه بلطف, فضجر وسئم
بعض الشيء فلم تعيره اهتماماً, فقال وبعض الضيق يحل على
ملامحه:-

- نحن متزوجون على كتاب الله وسنة رسوله.
- نعم, وما في هذا الأمر؟
- إنه لحلال لنا أن نقرب ونجتمع, بل إنه لفرض علينا أن نأتي
بعضنا البعض, فما وجد الزواج إلا لهذا, منذ زواجنا لم اقترب
منك.
- إنه حلال لمن لم يذقه في الحرام يا شامل.
- فسكت وأنكت رأسه فتابعت:-
- ألم يكفيك ما أخذناه في الحرام, ألم تشبع مما جنيناه؟
- لقد كان قبل إسلامنا ولا حرج فيه.
- وهل كان حلالاً في المسيحية التي كنا عليها!؟
- ولكننا الآن على الإسلام ولن نحاسب على ما فعلناه سابقاً.

- لا, لقد خذنا المسيح عليه السلام, وما أمرنا فيها بالزنا أبدًا,
- فكيف سأواجه المسيح وهو بجانب محمد في الجنة؟ كيف
- سأواجه رب المسيح ورب محمد؟
- الإسلام توبة, ولقد توبنا إلى الله كثيرًا.
- ومن يدريك أن التوبة قبلت؟
- كيف لك أن تقولين هذا يا روح القلوب وأنت من علمتني أن
- إمامنا عليه وله منا كل الرضا قال؛
- "لا تياس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور, فربما
- قبل من العمل ما تدرك ثمرته عاجلاً"
- فلا بد أن نعيش الإسلام, وأن نتزوج وننجب....
- فقاطعته مستنكرة وصارخة بقسوة وحدة لم يعهد لها بها من قبل:-
- ننجب؟ أي إنجاب تتحدث عنه؟ كم طفل قتلته بطني هذه؟
- لقد كان ماضيًا واندثر, والله تواب غفور رحيم.
- وأين ولدنا؟ أين طفلنا؟ أين لحمنا ودمنا يا شامل؟
- هدأت قليلاً وسكنت بعدما شعرت بقسوتها وغلظتها عليه وقالت:-
- اتقي الله في نفسك يا شامل, يقول شيخنا عليه وله منا كل
- الرضا؛

"أصل كل معصية وغفلة وشهوة, الرضا عن النفس, وأصل كل طاعة ويقظة وعفة, عدم الرضا منك عنها, ولئن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن

نفسه، فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه!"

تبسم شامل قليلاً وهو يرمي إليها بطرف عينه وقال مازحاً:-

- دوماً عندما تهربين من الإعتذار والتأسف ترددين هذه

الحكمة، أو تلك التي أظن أنا الشيخ قد خصصها من أجل أن

تؤدبيني بها في الذهاب والإياب، وأخذ يحاكي نطقها في قول

الحكم؛ شامل يقول شيخنا عليه وله منا الرضا؛ "أنت حر مما

أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع، فما بسقت أغصان ذل

إلا على بذر طمع"

فتبسمت لقدرته على استيعاب وفهم طبيعتها المتقلبة، وأعدت في

نفسها كلمات رقيقة أردت أن تلتف بها إلا أن دق الباب منعها من

البوح عنها، فذهب شامل ليرى الطارق، فوجد إمام شنقيط ومفتيها

الأكبر جاء ليرحب بروح القلوب، فأدركها بالسلام ثم قال:-

- ما جئت إلا للترحيب بك أيتها الروح المباركة لترجمان

العارفين ومرشد السالكين وتاج الدين، ما كتب في الصوفية

مثل ما كتب، ولا جمع من العلوم مثل ما جمع، أهلاً بالروح

وشيخها الجذامي نسباً، المالكي مذهباً، الإسكندري داراً،

القرافي مزاراً، الصوفي حقيقة، الشاذلي طريقة، أعجوبة

زمانه، نخبة عصره وأوانه، ويكفي ما قاله فيه شيخه وإمامه

أبو العباس المرسي؛ والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون

داعيًا إلى الله, والله ليكون له شأن عظيم, والله ليكون له شيء عظيم.

- عليهم ولهم منا كل الرضا.
- أعتذر عن ما بدر ظهر اليوم من أحد الدعاة, فنحن أمة لا نرفض لاجئ, ولا ننبت ضعيف, ولا نغلق بابًا أمام قادم ولا نمنع كتابًا لطالب, ولا نرفض ذكر ولا أنثى ولا حتى نفضل مسلم عن غيره, ما لنا في الدنيا قد قسمه الله لنا, فمشاركة ضيف أو غريب أو طالب أو إمام هو قدرنا, فهذه الأرض لله, وهذه المكتبات لله, وكل ما فينا وما بنا ونحن من كاملنا وناقصنا لله, فلك ما لنا و عليك ما علينا, لا نريد وما نريد ولن نريد فالإرادة وحدها للخالق المالك القدير, فما نحن سألينك عن ماضٍ ولن نسئل عن مستقبل أو حاضر, فيا مرحبًا ويا آلاف المرحاب يا والية الله, كلنا هنا أخوة كلنا هنا عباد لله.
- ما يجد لساني ما يعبر عن الشكر والمن لك, فيا للبشرة, فنادراً ما نجد عالم حكيم منصف تقي.
- يوجد الكثير ولكن قصرت البصيرة عن معرفة الحقيقة, فلقد جاءنا باحث منذ ثلاثة شهور يبحث في مخطوطات التاريخ لشيء يخص شيخنا وسيدنا الجليل ابن عطاء الله السكندري, لسوف أخبره بوجودك لعله يجد ما يبحث عنه ولم يجده للآن.
- يا أهلاً به وبكل طالب علم أراد المعرفة.

يقام آذان العصر, فيخرج الإمام وهم من خلفه حتى وصلوا
لساحة رملية خالية يحيطها أبنية طينية دائرية الشكل صغيرة الحجم,
فسألت عنها فأجابها الإمام:-

- إنها زاويات للأخوات اللاجئات من كل أنحاء العالم.
- كم عدد الأجنبيات الساكنات شنقيط.
- في الأعوام الثلاثة الأخيرة, هل علينا ما يربو على ألف منهن
الهاربة طوعًا ومنهن الفارة جبرًا.
- هل لي أن أختلط بهم, أعلمهم ويعلمونني, فلي باع طويل في
اللغات والمعرفة الثقافية بالشعوب الأخرى.
- لك ما أردت وما أرادوا متي شئت ومتي شئن, فلا أمر ولا
حاكم هنا, لكلٍ حريته, فليس مسئول عن المرء أمام ربه إلا
ذاته وجوارحه.
- سلمت يا إمام.

تركع الجميع العصر جماعة في ساحة الصلاة, ثم ولت الروح
دبرها حتى وصلت للساحة السكنية للأخوات وأخذت تخط بأصبعها
من قول شيخها على الرمال المذهبة؛

"الأعمال صور قائمة, وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها"

"ادفن وجودك في أرض الخمول, فما نبت مما لم يدفن لا يتم

نتاجه"

"ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة"

"كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته؟"

ومع مرور الدقائق اجتمعن اللاجنات حولها يترقبونها, فلما انتهت من كتاباتها خاطبتهم بلغتها البديعة:-

- يا داخلات الحاضر معمرات المستقبل, العالم اتسع فتاه الناس وكدنا التيه معهم, إلا أنه أخصنا بفضله فأرشدنا للطريق لنكون الواصلات وما زال غيرنا تائه بعد, فما أنتن بفاعلات؟, أمكملات نحن أم ساكنات؟ لكل منا ميزة, كل لوحدها ما هي بناجية, وجميعنا سويًا ناجيات, فأي الطرق سالكات؟, نكمل لنعمر أم نصمت لنعشن هادئات هنا حتى يأتينا مواتنا؟
تعجبين جميع الواقفات, ولكنهن غيرهن, تعلم الروح جيدًا بما هن مقررهن, فليسوا عربيات ولا مسلمات عاديات ولدوا وماتوا مسلمات, وإنما لكل منهن قصة وكفاح ينطوي خلفها الكثير من الأسرار, فمن تركت البلد ومن تركت العائلة ومن تركت الولد ومن تركت الزوج ومن تركت المال حتى يصلن لهننا, ليسوا كغيرهن ولن يكن كغيرهن, فهن مسلمات عقلاً وبرهاناً ودليلاً وقلبًا وحبًا وإرادة فلا خوف منهن ولا خوف عليهن فما سلكن مثلهن طريقًا إلا واجتزوه على أكمل الوجوه, إنهن الحقيقيات من دون تلك المزيفات.

- وأي الأفعال تقع من واجباتنا يا روحنا؟
- ما خلقنا الله ولا أرشدنا للإسلام لنمكث هنا في ظلالات
وقرف, وإنما خلقنا لنعبد إياه ونرشد غيرنا لعبادة إياه.
- فتعالت الأصوات النسائية من كل حدب وصوب بلغات ولهجات
متعددة:-

- موافقة

- معك

- على بركة الله

- إن شاء الله

- فلنبدأ بإذنه

- إنك على حق

شعرت بالرضا والثقة فعلى صوتها مستبشرة:-

- إذن على بركة من الله في هذه البقعة وعلى هذه الرمال نضع
أساس مدرستنا العطائية, فليكن سلاحنا روح القلوب ولنرى
أي الفائزين الرصاص أم الإيمان؟

(40)

شرعت الشمس في بث أشعتها, وإذ بالباحث الأجنبي يقدم على الروح بينما هي جالسة بين متجولاتها داخل المدرسة العطائية حديثة المنشأ, قديمة الفكر, أصيلة الحق, حيث ترشدهن لأنوار بحرها وشموس قلبها, ولقد لوحظ تأثرها بالمنهجية الشنقراطية في التدريس, فكم هم هؤلاء الشناقطة عمالقة في طرق التعلم وأساليب التعليم, فليس في شنقيط ولا محاضرها التعليمية مثل في البلدان العربية سواء جامعات أو مساجد أو كتاتيب, فالمعلم الشنقراطي يجلس في المحاضرة بكل ما علمه وعرفه ودرسه وتبحر فيه وتجرع منه وما عليه إلا توضيح العنوان المقرر دراسته, وعلى الطلاب مناقشته فيما بينهم ثم مع معلمهم, وعندما يحين دور المعلم لا يتحدث برأيه أو من تلقاء نفسه وإنما يجلب جميع الكتب والمخطوطات المتخصصة ليدرسوها ويبحثوا فيها حتى يعرف كل مدى صحة وخطأ رأيه, فلا فرض ولا جبر على الطلاب في المعرفة, فليطلعوا على جميع الآراء وكل له حريته في إتباع أي المناهج, فيا لها من مدينة عالمة حقًا بعلمائها وطلابها, وبعد أن انفض مجلسها الصباحي اقترب الباحث من روح القلوب قائلاً:-

- أنا مستشرق ومترجم تجولت الكثير من أجل توثيق معلومة وتحقيقتها تخص شيخك ابن عطاء الله, لقد فتننت به كثيرًا وأعجبنتي حكمه, فحاولت ترجمتها مع شرحها, وشرعت في

الإستقصاء عن مشايخ و علماء أدرى وأعلم بالصوفية حتى
 عثرت على ما أريد ولكن في مستهل الحديث سمعت بعض
 الشيء مما أرهقني كثيرًا في تحقيقه ولم أحصل على مصدر,
 فأحد المشايخ الكبار في مصر حكى لي مناظرة وقعت بين
 قطبين أساسين في العالم الإسلامي في ذلك القرن المشهور
 بعلمائه, أيتسع صدرك ووقتك لسماع القصة, فإن كانت حقيقية
 فهي ضربة قاضية لجميع الفرق السلفية وانتصار للصوفية
 كما تتغنى بها.

- اتفضل يا عابد إياه, فلا مبغى لنا في هذه الدنيا إلا طلب العلم
 ومعرفة الحقيقة, غير أنه لا يهمني ضرب السلفية ولا ضرب
 الصوفية ولا انتصارهما كما تقول, فلا يكمن في قلبه مثل هذا
 إلا من كان قليل الإيمان ضعيف الحجة.

ثم صاحت على المتجولات منادية لهن:-

- أيتها الزاهدات المتجولات اقتربن لتتعلمن.

فتجمعن ثانية, فشرع الباحث في قراءة ما بين يديه من أوراق
 بعدما أوضح أنه دونها حرفيًا كما سمعها:-

- لقد قيل أن الشيخ ابن عطاء الله السكندري, والشيخ المنبجي

شيخ الأمير بيبرس الجاشنكير, كانوا من أتباع الشيخ ابن
 العربي, وكم هو معلوم الخصومة بين ابن تيمية وابن العربي,
 ولكن ابن تيمية لم يهتم بسخط أتباع ابن العربي, فمضى يكتب

شعرًا يسخر فيه من المتصوفة الذين يدعون الفقر فقال على
لسانهم،

والله ما فقرنا اختيار وإنما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى وأكلنا ما له عيار
تسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

فأخذ تلاميذ ابن تيمية يتغنون بهذه المقطوعة على إيقاع
نغمات الذكر عند الصوفية، فاستخف عامة الناس بالصوفية
وبدوا يطاردونهم بهذه الأبيات، فتوجه ابن عطاء الله ومعه
جماعة من الصوفية إلى القلعة (دار المحكمة) فادعوا على ابن
تيمية أنه ينكر الإستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم
والتوسل به، وينكر شفاعته للمسلمين.

فعقدت المحاكمة لابن تيمية من قضاة المذاهب الأربعة، وفي
المحاكمة وقف ابن عطاء الله السكندري يدعي بالإتهام ولم
يجعل الإتهام هو الهجوم على ابن عربي وإنما تحايل على
القضاة، فقام ابن عطاء الله السكندري فقال؛ الفقيه ابن تيمية
ينكر الإستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا مخالف
للأحاديث الصحيحة فهو ضلال.

فقام ابن تيمية فقال؛ لم يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم
حديث واحد أمرنا فيه بالإستغاثة، بل صح عنه النهي عن ذلك.
وأخذ يشرح ما في الأمر من وجهة نظره حتى انتهى.

فقال رئيس المحكمة؛ ليس في هذا ضلال أو كفر، ولكنه قلة أدب.

ولكن صمم أحد القضاة من أتباع بيبرس أن يحكم بسجن ابن تيمية وجلده إلا أن الجميع رفض.

ولكن ابن تيمية عاد لمجالسه وحلقاته وأخذ يسخر من الصوفية أكثر وأكثر ويتهم ابن عربي بالتناقض والنفاق وازداد تلاميذ ابن تيمية في التشنيع والتكفير على الصوفية وما يأتونه من أقوال وأفعال.

فذهب الشيخ المنبجي وطلب من الأمير بيبرس والأمير سلار أن يخلصا الناس من ابن تيمية فهو مصدر الفتن في البلاد وبين العباد، والصوفية وأهلها وعامتها يتواعدونه هو وتلاميذه.

فاستدعى ابن تيمية إلى القلعة وخير بين ثلاث أمور (يرحل للإسكندرية، أو يعود إلى دمشق، وفي كلا البلدين يعقل لسانه عن الصوفية، وإما أن يسجن)

فاختار السجن أولاً إلا أن تلاميذه وأحابه طلبوه بالعودة لدمشق أفضل، فعدل عن قراره وذهب لدمشق.

وفي تلك الأثناء أصبح بيبرس هو السلطان فذهب إليه شيخه المنبجي ومعه الشيخ ابن مخلوف فألحا عليه بقتله والتخلص منه فبعث إليه رسول فأدركه في بلبيس، فعاد به.

وبعد أن تشاور بيبرس مع سلار في إعدام ابن تيمية رفض سلار واكتفى بالحبس.

فعقدت المحاكمة لتعيد النظر مرة أخرى وكان مخالفاً لقاضي قضاة المالكية ابن مخلوف, ولكن كان قرار المحكمة أن ما ثبت عليه شيء, فقبل له لابد من حبسه طبقاً لأمر السلطان, فقال له قاضي القضاة؛ الحبس لك مصلحة, فالصوفية يأترون عليك, فقال ابن تيمية؛ وأنا أتبع ما في مصلحتي وأرضى بالسجن.

وحبس ولكن في محبس القضاة وهو مكان مريح وكبير, فأقبل عليه الطلاب وبدأ يلقي دروسه من جديد, فذهب المنبجي إلى بيبرس الجاشنكير وشكا له التفاف الناس حول ابن تيمية, فأمر بيبرس بنفيه إلى الإسكندرية وتحديد إقامته.

ولم يهدئ ابن تيمية كعادته, ولكن مرت الأيام حتى دعي للقاهرة من جديد وقد ظن بأن بيبرس أراد تأديبه مرة أخرى بتغليظ العقوبة, ولكن أخبروه في الطريق بأن السلطان الناصر محمد بن قلاوون عاد إلى ملكه وأول ما أمر به الإفراج عنه وإحضاره إياه.

سكت المترجم الأجنبي قليلاً ثم استأنف حديثه موجهاً نظره لروح القلوب ومتجولاتها:-

- ما سبق هو مقدمة واستهلال لتفهمين ما سأقوله الآن.

ثم عاود النظر لأوراقه وأكمل القراءة:-

- بلغ ابن تيمية القاهرة بعد صلاة العصر، وحوله الأمراء الذين اصطحبوه من الإسكندرية، كأنهم حرس شرف، ثم خرج إلى الأزهر في انتظار أذان المغرب، فقابل هناك ابن عطاء الله السكندري فقال له الأخير: -

- ألفتُ أن أصلي المغرب في جامع مولانا الحسين، وأصلي العشاء هنا، فانظر تقدير الله، قدر لي أن أكون أول من يلقاك، أعاتبُ أنت علي يا فقيه؟

فقال ابن تيمية:-

- أعرف أنك ما تعمّدت إيدائي، ولكنه الخلاف في الرأي، على أن كل من آذاني فهو منذ اليوم في حلّ منّي.

- ماذا تعرف عني يا شيخ؟

- أعرف عنك الورع، وغازاة العلم، وحِدَّة الدِّهن، وصدق القول، وأشهد أني ما رأيتُ مثلك في مصر ولا في الشام حبًّا لله، أو فناءً فيه، أو انصياعًا لأوامره ونواهيه، ولكنه الخلاف في الرأي، فماذا تعرف عني أنت، وتَحكم عليّ بالضلال إذ أنكر استغاثة غير الله؟

- إنني أعجب لك يا فقيه، فأنت نصير السنّة، تستوعب الآثار حفظًا وفهمًا، كامل الفكر، سريع الإدراك، ولكنك تُطلق

- عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون، وتخرج فيها عن مذهب إمامك أحمد، ومذاهب سائر الأئمة.
- مَنْ تعصّب لمذهب بعينه، فقد أشبه أهل الأهواء.
- أما أن لك يا فقيه أن تعرف أن الإستغاثة هي الوسيلة والشفاعة، وأن رسول الله يُستغاث ويتوسّل به، ويُستشفع به.
- أنا في هذا أتبع السنّة الشريفة، أما الاستغاثة ففيها شبهة الشرك بالله - تعالى - ولهذا منعها سدًّا للذرائع، قال - تعالى -: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] صدق الله العظيم.
- أصلحك الله يا فقيه، فهمك أن الإستغاثة بغير الله هي شرك، فمن من المسلمين الذين يؤمنون بالله ورسوله يحسب أن غيره - تعالى - يقضي ويقدّر ويثيب ويُعاقب؟، إنما هي ألفاظ لا تؤخذ على ظاهرها، ولا خوف من الشرك لنسب إليه الذريعة، فكل من استغاث الرسول فهو إنما يستشفع به عند الله مثلما تقول أنت: أشبعني الطعام، فهل الطعام هو الذي أشبعك أم أن الله - تعالى - هو الذي أشبعك؟
- أما تحريمك الاستغاثة لأنها ذريعة إلى الشرك، فإنك كمن أفتى بتحريم العنب لأنه ذريعة إلى الخمر، وخصي الذكور غير المتزوجين سدًّا للذريعة إلى الزنا.
- ثم عاتبه ابن عطاء الله السكندري على كلامه في ابن عربي قائلاً:-

- إنَّ الأخذ بظاهر المعنى يوقع في الغلط أحياناً يا فقيه، ومن هذا رأيك في ابن عربي؛ فقد فهمتَ ما كتبه على ظاهره، والصوفية أصحاب إشارات وشطحات روحية، ولكلماتهم أسرار، فكان يتعيَّن على مَنْ هو في مثل حذقك، وحِدَّة ذهنك وعلمك باللغة أن يبحث عن المعاني المكنونة الخفية وراء الكلمات؛ فالمعنى الصوفيُّ روح، والكلمة جسد، ثم إنك اعتمدت في حُكمك على ابن عربي على نصوص قد دسَّها عليه خصومه.

ثم سأله عن الإمام أحمد، فأجاب، ثم عن الإمام عليٍّ، فأجاب، فقال ابن عطاء ما معناه: هل يُحاسَبون بما فعل المُتَعَصِّبُونَ لهم والغالون فيهم؟، فاقتنع ابن تيمية أن ابن عربي بريء مما يفعله أتباعه، فسأله عن لبس الخرق، وما يُروى من الكلام فيها، فتبرأ ابن عطاء منها، وقال:-

- نحن نُعلِّم الصوفية أن القذارة ليست مِنَ الدِّين، وأن النظافة من الإيمان، لقد ظهر بين الصوفية منذ قرنين من الزمان أشياء كالتى تُنكرها الآن، واستخفُّوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات، وادَّعوا أنَّهم تحرَّروا من رِقِّ الأغلال، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال.

فقال ابن تيمية:-

- هذا الكلام عليك لا لك، فالقُشيريُّ لما رأى أتباعه يَضلون الطريق قام عليهم ليُصلحهم، فماذا فعل شيوخ الصوفية في زماننا؟, إنما أريد من الصوفية أن يسيروا على سنّة هذا السلف العظيم من زُهاد الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان.
- انتهى الباحث المستشرق من قراءة ما لديه من أوراق فوضعها جانبًا ونظر لروح القلوب في انتظار تعقيبها, فقالت بهدوء وودية:-
- لا والله, ما هذا إلا كذبًا وافتراء على الإمامين, أرح نفسك, فلم تحدث مثل هذه الشطحات والمشاهد التمثيلية.
- ولكن ما مصدرها؟
- هذه القصة ظهرت علينا كما قلته "بالنص" في الآونة الأخيرة في كتاب ابن تيمية الفقيه المعذب لعبدالرحمن الشرقاوي.
- المفكر الإسلامي!؟
- والكاتب المسرحي أيضًا, هذه المناظرة ما من مصدر موثوق منه قد ذكرها, قيل أنها لابن الأثير وابن كثير وقد ذكرها الدكتور جمعة مفتي الديار المصرية والكثير من العلماء في أحاديثهم كحجة على السلفيين إلا أنه بالبحث الدقيق ستجد أن ابن كثير لم يذكر هذا, وابن الأثير توفي قبل أن تقع هذه المناظرة المزعومة بحوالي قرن من الزمن, ولكنني في الحقيقة ممتنة لك كثيرًا على إتقانك لعملك فلم تقع فريسة الهوى.

انسحب المستشرق من أمامها بعد تقديم الشكر والتقدير لسعة صدرها وحسن ترحيبها, وقبل أن تنصرف المتجولات سألت عن المتغيبات منهن فقد لاحظت عدم حضور السيتشيلانية والتزامها بقواعد المدرسة وما نظمن من قوانين, فأخبرت أنها لا تبرح المكتبات ولا تفارق المخطوطات, وما كادت تنهض من مقعدها وإذ بعجوز شنقيطية تقترب منها محدثة إياها في سكون ورغبة:-

- ما بالك يا روحنا أن تحيين بمتجولاتك حفل اليوم, فهو من الإسلام أيضاً.

- استغفر الله يا أماه لا أنكر حفل الزواج ولا الفرح فهما من سنن الكون ومن لوازم الإسلام وروحه, ولكن حفل زواج من؟
- إنه طلاق بنيتي, فطلاقها الثالث بحمد الله وفضله.

- عذراً يا أماه, أسألك عن الحفل.

- ولقد أجبتك عن الحفل, أليس في بلادكم حفلات للطلاق؟
- طلاق؟ وهل للطلاق حفل؟ لا نعرف له إلا الولولة والعار.
- عار؟! وأي عار هذا؟ أليس الزواج من الإسلام؟

- بلى.

- أليس الطلاق من الإسلام؟

- بلى, ولكن..

- ولكن ماذا؟ شارع الزواج هو شارع الطلاق يا بنيتي, أليس

القائل إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان؟

- نعم إنه تعالى.
- إذن فلماذا نحتفل بالزواج ولا نحتفل بالطلاق, لا يعاب في بلدتنا على أي من النساء في الطلاق, ولكن العيب كل العيب في حق الرجل, فالرجل هو المشان في المجتمع لطلاقه, وأما المرأة فكلما زاد طلاقها زاد جمالها وطلبها ورغبة الرجال بها, ما من مطلقة عانس, فما العوانس إلا البكر.
- يا الله!؟ ما هذا الذي يقال؟! أهذا حقيقي يا أماه؟
- نعم يا بنيتي, فالمثل الشنقيطي يقول المرأة عمامة الأجواد وخذاء الأذنياء, فلتأتي معي إذن.
- يا إلهي لو طبق هذا الأمر في مصر ليوم واحد, ما احتفظ رجل بزوجه, وما رغبت زوج في زوجها.
- اصطحبتها العجوز للحفل ومن حولها متجولاتها وهم أقل دهشة وتعجباً من روحهم, فمجتمعاتهم أقل حدة على المرأة المطلقة من البلدان العربية, وبمجرد دخولها منزل العجوز وقفن جميع النسوة المحليات تحية وتقدير للروح فحيتهن وأشارت لهن بأن يكملن رقصهن وتسامرهن, وما أن استقرت في المجلس هي ومتجولاتها حتى أتت قدور تحوي بجوفها أرتال الحليب من ماعز وجمل وبقر وجاموس, وأطنان الفواكه من موز وتفاح وكمثرى وجوافة, فمالت الروح على العجوز لتخبرها في هدوء وتوجس:-
- ما هذا كله! لسنا بقادرات أن نتجرع شيء منه.

- هذا ليس بكرم ولا بضيافة يا بنيتي, وإنما فرض عليك, فهذه عاداتنا وأوضاعنا, فليس بيننا نحيفة ولا يصح لنحاف بيننا.
- لماذا يا أماه؟
- المرأة لا تكون إلا سميئة, ولا تعيش ولا تزوج عندنا إلا السميئة, فانظري حولك أتجدين نحيفات بيننا؟, فالمثل الشنقيطي يقول المرأة الممتلئة تملئ مكان أكبر في قلب الرجل, فعلى قدر حجمها يكون حجم حب الزوج لها, تخضع الفتاة عندنا للتسمين الإجباري من قبل الجدات, وإذا منهن من خالف القواعد تعاقب بالضرب والجلد باستخدام الإياز.
- فنظرت الروح لقطعة الخشب التي في أيديها فوجدتها وقد تشبه "الفلة المصرية" التي كانت تستخدم قديمًا في الكتائب الريفية, فاقشعر جسدها وسار الخوف في أوصالها, فنظرت لمتجولاتها بعينها تحثهم بل تأمرهم بالأكل, ثم ألقت نظرة مرتجفة للنسوة الشنقيطات حولها, فوجدتهن حقًا سمان ولكن ليس بالشيء المبالغ مما يعطهن جمالًا وملامحًا شهية مثل تلك التي يحبها المصريون في النساء, وإن اختلف التسمين في موريتانيا بالفواكه واللحوم والحليب عن التسمين المصري بالكرنب والمحاشي.
- وفي أثناء تسمينهم دفع الفضول إحدى المتجولات لتسأل:-
- طبقا لوضع التعدد هذا في الزواج والطلاق كيف للرجل والمرأة تحمل نفقات أكثر من زواج؟

فأجابت إحدى الشنقيطات التي تراقب عملية التسمين بناء على تعليمات الجدة الصارمة بوجوب إنهاء جميع القدور:-
- لا الرجل ولا المرأة يتحملن أو يحضرن شيء في الزواج، فكل الأدوات والمستلزمات مسئولية الأقارب والأصدقاء والجيران حيث ينسقون فيما بينهم ويحضرون كل شيء أثناء الزفاف ثم تحمل لبيت العروسين.

(41)

قبيل آذان الفجر وقبل ذهاب الروح للصلاة أخذت في نفسها
 زيارة السيتشيلانية, وبعيد أمتار قليلة من كوخها حيث أول المنحنى
 وجدت المكتبة حيث تقيم ما زالت شموعها منيرة, فاقتربت من
 الطاقة القماشية فأبصرتها عاكفة على مخطوط مترهل ويتناثر
 عشرات المخطوطات حولها, فأقدمت من الباب حتى دخلت عليها
 وأدركتها بالسؤال:-

- لماذا منشغلة عنا أيتها السنيورتيا؟
- عفوا روحنا الجلييلة, أعتذر منك, ولكن أمامي مهمة شاقة
 ومتعبة ولن يهدئ قلبي ولا عقلي إلا بالوصول لما أبتغيه.
- عن أي شيء تبحثين؟
- إنه أمر حساس وخطير.
- ألا من حقي أن أعرفه يا متجولة أرضه أم تجديني غير جديرة
 بالثقة؟

ترددت قليلاً حتى تجد كلمات افتتاحية للحديث عن الموضوع ثم
 أجابت بالإيطالية:-

- بكل صراحة, أنا أبي فارس "أمالفيتانو" حفيد لسلالة التجار
 الذين أنشأوا ما يعرف اليوم بدولة فرسان مالطا في القرن
 الأول من الألفية الثانية, كان جدي الأكبر أحد التجار الذين
 انتقلوا من "أمالفي" الواقعة بإيطاليا حالياً لبيت المقدس وقاموا

بإنشاء مستشفى (أو إسبتارية كما تنطق في اللغة اللاتينية) لخدمة الحجيج ملحقه بكنيسة القديس يوحنا المعمدان, وكان يشرف عليها الرهبان والتجار آنذاك والذين عرفوا بالإسبتارية, ومن بعدها تلقبوا بفرسان مستشفى القديس يوحنا الأورشليمي, ومع بداية الحملات الصليبية وكرههم الشديد لكل ما هو إسلامي ومع تعطشهم لدماء المسلمين بدأت المستشفى تأخذ وضع النظام العسكري وبدأت الأمور تتطور شيئاً فشيئاً إلى أن استطاعوا أن يحصلوا على إعراف بالاستقلال والسيادة من البابا بسكال الثاني, والذي ساعدهم على تنفيذ قيام دولة مستقلة ذات سيادة هم الجماعة الإسماعلية النزارية أو التي كانت تعرف وقتها بالحشاشين, وكانت لها جبهة بحلب تحت إمارة المعلم وشيخ الجبل آنذاك سنان رشيد الدين, حيث قدموا لهم الأسلحة والأدوات والمواد الكيميائية حتى أنهم حاولوا قتل صلاح الدين الأيوبي إلا أنهم فشلوا, ومع هزيمة الجيوش الصليبية هربوا الفرسان لجزيرة قبرص ثم لجزيرة روديس التابعة لليونان حالياً, وأقاموا دولة مستقلة اعتمدت على قرصنة السفن الإسلامية في البحر واختاروا روديس عن غيرها من الجزر والمدن الأوربية المسيحية خوفاً من يقعوا تحت طائلة الملكيات الأوربية كما حدث مع فرسان الهيكل من قبل الملكية الفرنسية, ولم يستطع القائد محمد الفاتح بعد أن فتح

القسطنطينية أن يهزمهم في روديس, وظلوا صامدين ولم ينهزموا إلا في عهد سليمان الثاني بعد حصار دام لستة شهور, ثم تركهم يفرون أحياء إعترافاً منه بشجاعتهم وقوتهم في التحمل, فتوجهوا لمالطا واحتلوها وتسموا "بالنظام العسكري لدولة مالطا" إلا أنه مع التغييرات التاريخية التي أصابت أوروبا تفرق وتشتت أعضائها, وعلى الرغم من ذلك ظلوا محتفظين بالاسم والكيان حتى عادوا مرة أخرى عام 1834م وأنشأوا دولة بدون أرض أو بشر بدولة الفاتيكان الواقعان بإيطاليا, ومقرها حالياً بقصر مالطا Palazzo Malta بشارع Condotti وحصلوا على إعتراف كدولة مستقلة ذات سيادة وتمثيل بالأمم المتحدة طبقاً للقانون الدولي واستطاعوا بقدرتهم المالية والسياسية الانتشار والتمثيل الدبلوماسي في أكثر من مائة دولة تحت غطاء العمل الخيري والمستشفيات, ومنها ثماني دول عربية وكانت أول سفارة لهم في مصر عام 1980م, ولهم الحق في إصدار أعداد غير محدودة من جوزات السفر ولوحات الترخيص للسيارات تحت مسمى الدبلوماسية.

وفي الحقيقة, يا روح القلوب, أنا أجبرت على العمل معهم تحت غطاء التطوع بناء على أوامر أبي لأنه أحد فوراسها لليوم, فأخترت اللجنة الثقافية, ولهذا أنا على علم بخطتهم

الثقافية المنتشرة والمطبقة حاليًا في جميع أنحاء العالم من أجل تخريب وسرقة أي مخطوطات قديمة تشير إليهم أو لأفعالهم في محاولة لتبييض تاريخهم الدموي والعنصري، واللجنة الثقافية السرية الدولية تضم أكثر من سبعين كاتب وصحفي من جميع دول العالم يتقاضون شهريًا مبلغ ثلاثة آلاف دولار مقابل عملهم على محو كل ذكرى سوداء لهم ولحلفائهم من صفحات التاريخ، ولهذا أنا أحاول يا روحنا أن أجد كل ما يخصهم في هذا المكتبات لحفظها بعيدًا عن أيديهم لأن مكتبات شنقيط لم تكن مذكورة ولا معروفة لهم في فترة وجودي معهم. تعجبها ودهشتها لغرابة وخطورة الأمر أخرجها فلم تبوح الروح

إلا ب:-

- وهل عثرتي على شيء؟
- ليس بعد يا روحنا.
- حينما تصلين لأي شيء يتعلق بهذا الأمر أطلعيني عليه، أرجوك.
- بكل تأكيد يا روحنا، ولكن هل لي أن أعتذر عن حضور المجلس حتى أنهي هذه المهمة؟
- لك ما أردت، فلا أمر ولا شأن لك إلا بهذه المسألة حتى تفرغين منها.

ثم ولت الروح للخارج حتى وصلت للساحة فصلت

بمتجولاتها ثم عقدت جلستهن التي بدأتها بقولها:-

- عزيزاتي متجولات أرضه, راغبات جنته, طامعات كرمه, لقد

جعل الله الإنسان حينما خلقه أفضل وأهم وأميز ما في

الأرض, وجعل أهم ما فيه القلب, وجعل أهم ما في القلب

روحه وروح الشيء معناه ومغزاه الحقيقي, فأسلموا قلوبكم

وأرواحها لله, فإن كان الإيمان نواة القلب, فالتعقل والتفهم

والتفقه روحه, ولهذا جمع شيخنا وأوفى أحوال القلب في

ثلاث؛

"تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال, ولا يُخرج

الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق, فكما لا

يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك"

فهنيئاً لمن كانت روح قلبه سالمة من كل هوى, متشوقة لمن

خلقها, محبة له لا شريك معه.

وفي ختام الحلقة سألت عن المتغييات فأخبروها بتلك المستجدة

مجهولة الهوية, فأوصتهم بالتعارف بها وموانستها وحسن ضيافتها

وتبليغها بالحضور إلا إن كانت مريضة أو لها عذرها, ولما علمت

أنها ترفض حتى الصلاة معهن تعجبت لأمرها, فقالت:-

- دلوني على زاويتها.

فلما وصلت زاويتها أطرقت الباب, فأذن لها بالدخول, فارتعدت تلك الأجنبية حديثة القدم عند رؤيتها, فللروح جلالتها في النفوس, فسلمت عليها بوجه بشوش يبعث على الاطمئنان والسكينة مرحبة بها:-

- يا أهلا بك يا عابدة إياه.

فلم تجب بشيء فواصلت الروح:-

- علمت أنك قدمت حديثاً ولا تخرجين مع إخوتك فأتيت

لأزورك وأخدمك إن كنت في حاجة يا متجولة أرضه.

فأجابت هذه المرة شاكرة بلهجة مألوفة لها:-

- شكراً يا شيخة.

- شيخة!, إذن أمصرية أنت!?

فلاحظت أوصالها ترتعد وأحمر وجهها خوفاً فأدركتها سريعاً:-

- ما بك يا أماه, لا تخافين من شيء مهما كنت من أين, فهنا أنت

في مأمّن.

فأجابت السيدة بحروف مرتعشة مهزوزة:-

- أنا مصرية بالفعل ولكني

ترددت قليلاً ثم أردفت:-

- في الحقيقة أنا مسيحية وهاربة من مصر.

- ومن أي شيء تهربين؟

- أنا صحفية معارضة, وهاربة من قضية سياسية.
- لا عليك يا عابدة إياه, فلا تخافي ولا ترتعدي هكذا, فلا وجود للخوف إلا في بلادنا التي أروضتنا الخوف صغارًا, نخاف من كل شيء ولأبي شيء, نخاف من الخوض في أحاديث السياسة أو الدين أو الروح أو الحب أو الجنس أو العلم, ولا نعلم لماذا لا يجتزون أسنتنا من جذورها عند الولادة أسهل لنا ولهم, في كل الأحوال يا أمي أنت هنا في أرض الله فلا تخافين من شيء.

- ولكنني مسيحية وما أرى إلا مسلمات, وصديق رشح لي شنقيط قائلاً إنها المدينة التي لا يجور فيها أحد على أحد.
- وماذا يعني أنك مسيحية؟! ألسنت بإنسانة؟! ألسنت من البشر؟! ألسنت من آدم وحواء؟! لا تخافي هنا الكل يعبد الله فقط, سوف أخبرهم بعدم إزعاجك أو مضايقتك.

- صدقيني أنا لست بسيئة ولا.....
- ما طلبت منك قسم ولا تبرير, النفوس لرب النفوس يا أماه, لا دخل لي ولا أحد هنا في أمرك, أنت وشأنك, فأنت لست في مصر.

اطمأنت كثيرًا للروح التي تبعث كلماتها راحة واطمئنانًا في النفوس وتوحي ملامحها بالأمل والنور فقالت:-

- في الحقيقة أنا أكذب عليك, فلست صحفية ولا هاربة يا روح القلوب أو لو تسمحين لي أن أدعوك بمريم, اسمك الحقيقي. ثم تبسمت في وجهها وأطلقت باتجاهها نظرة حنونة وتابعت:-
- دوما كنت أسمع عنك وعن جمالك وطيبتك ونقاءك من رواية وقصة وحبهن لك ولم أكن أتخيل أنك تفوقين وصفهن هكذا. فارتعدت الروح خوفاً هذه المرة وأحست ببعض من القلق فاستدركت أم إسحاق سريعاً:-
- لا تقلقي يا بنيتي ولا تخافي, أنا نيلوس أم رواية, ولقد رشح لي الصاقر وعلا أن أنضم لك في هذا المكان لكي أستجمع فيه قواي التي نخرت بعد كل هذه الأحداث المؤلمة.

(42)

وصلت رواية مليلة ذات الوجهين حيث الأحياء والشوارع الرئيسية كمدينة عتيقة عريقة على طراز أوروبي حضاري يسكنها 55% من السكان ذوي الأصول الإسبانية, أما على الجانب الآخر فالوجه الخفي حيث المشهد أقل جمالاً واهتماماً حيث يسكنه ذوي الأصول المغربية المسلمة والذين يطالب غالبيتهم بعودة مليلة للملكة المغربية لما يعانون من تفرقة في المعاملة وارتفاع نسبة البطالة التي وصلت 60% مع طرد أبنائهم من التعليم في المرحلة الإعدادية, غير أن منهم من توطدت علاقته بالمحتل فرضي بالاغتصاب محتجاً بأن المغتصب يغتصبه بعدل, بعد أيام من مكوثها بالعش الصقري اجتمعت بعلا ولحقها فيما بعد الصاقر, وكانت علا قد بدأت تمهد لها الأمور لفهم طبيعة الخطوة الأخطر في مسار خطتهم بعد أن تم إدراجها على قوائم الانتظار للتلقيح والحقن بحيوانات الكبار, وقد حصلت على العربون ألف دولار حيث ثمن التأجير الفترة كاملة حتى الإنجاب عشرة آلاف دولار, فبادرت علا بالتوضيح:-

- عليك يا رواية معرفة معلومة أساسية وهو أن العالم القادم الذي يخطط له الآن ليشكل قريباً وليفرض على الجميع مستقبلاً هو من ثلاثة أضلاع, الضلع الأساسي المنفذ وهم الحشاشون الجدد, والضلع الأساسي المخطط هم سموم

SMOM أي النظام العسكري لدولة مالطا, والضلع الحامي
سياسيا هم .K.K.K.

الأهم لك معرفتهم هم طائفة الحشاشين لأنك ستخالطينهم
مباشرة, فعليك معرفة شيئين قبل زرعك بداخلهم, الأول تاريخ
النشأة العقائدية, والثاني تاريخ النشأة الإرهابية.

فالطوائف الإسماعلية المنتشرة في وقتنا الحاضر اثنتين, هما
البهرة والأغاخانية, وطبعا لا يخفى على أحد كيف أن للبهرة
تواجد مكثف ومخطط في مصر من خلال التجارة بمناطق
مصر الفاطمية, وإغرائهم للحكومة المصرية بالتبرعات كل
عام بمبلغ وقدره مقابل الموافقة على ترميم مساجدهم المقدسة,
إلا أنه في الحقيقة الأخطر فرقة الأغاخانية, مالكة شبكات
التنمية المتوغلة في العالم بأسره, وصاحبة مشروع ترميم
وإعادة إحياء منطقة القاهرة الفاطمية القديمة الواقعة غرب
الدرب الأحمر من خلال إنشاء حديقة الأزهر "الأزهر

بارك", فطبعا لما يعتقدونه فهي أرض الميعاد حيث أنها مكان
إختفاء إمامهم المزعوم وعودته ستكون منها فلهذا جهزوها
بالأشجار والمساحات الخضراء كجنة أرضية تليق باستقبال
مهديهم المنتظر, وهذا السر الذي أبلغنا به أنسيموس وعرضه
للكشف والاحتجاز, فكل من يريد وهم بأفضلية أو وعد من
الرب بأرض لميعاده لا يجد إلا أرض مصر, فالصهاينة

يريدون أراضي نيل مصر, والدروز يريدون مسجد الحاكم
بأمر الله الواقع بشارع المعز, والبهرة يريدون مسجد اللؤلؤة
بالأباجية بحي الخليفة بالقاهرة, والأغاخانية يريدون منطقة
الأزهر بارك, ولا نعلم لماذا ضاقت على آلهتهم الأرض
الواسعة والممتدة في جميع أنحاء العالم لتتصارع على أرضنا,
ولكي تتفهمين الأمر سيشرح لك الصاقر الحقبة التاريخية
لنشأة العقائدية ونشأة الإرهابية.
فيتولى الصاقر مجرى الحديث محاولاً توضيح وشرح الأمر مع
قليل من التبسيط:-

- أولاً يا رواية سوف أذكر لك في بعض المواضع بعض
المصادر المهمة إذا أردت الاستزادة في التفاصيل بما أن لديك
الكثير من الوقت, فكما هو معلوم بأن انتساب الإسماعلية
لإسماعيل بن الإمام جعفر الصادق الإمام السادس, وهو كان
من أتباع أبو الخطاب محمد بن أبي زينب, وهذا الرجل له
صلة وثيقة بنشأة الإسماعلية وتكوينها وابتداع عقائدها
ومعتقداتها, فأبو الخطاب هو من جلساء جعفر الصادق وليس
أبيه محمد الباقر كما ادعى برنارد لويس المستشرق اليهودي,
بريطاني المولد أمريكي الجنسية, وصاحب نظريات تقسيم
الشرق الأوسط وتقسيم مصر لدويلات صغيرة, وأخبث

المستشرقين في القرن العشرين, ولا بد من التعامل معه بحذر في جميع كتاباته.

وكانت أفكار أبو الخطاب تدور حول (لا بد في كل عصر من رسولين: ناطق وصامت, فكان محمد ناطقًا وعلي صامتًا, والإمام يتصور في أي صورة شاء, ومن عرف الإمام وضع الأعمال, وأن الله يحل في أبدان الرسل والأئمة, وأن الأرواح والأجسام لا تموت ولا تفنى ولكنها تتحول لملائكة, وتحليل الشهوات ما حل منها وما حرم حيث أن كل ما فرض أو حرم أو حل في القرآن هو أسماء رجال) ومثل هذه الأفكار التي ستجديدهم يطبقونها بالفعل في جماعاتهم, وكل ما سبق مذكور على اختلافات في كتب الشيعة كالنوبختي والقمي والماقاني والاسترآبادي والأردبيلي, أما ما كان من كتب أهل السنة كالأشعري والملطي وابن حزم والغزالي والشهرستاني والرازي والمقريري والنويري, إضافة على ما سبق, (أن لكل ظاهر باطن وأن ظاهر القرآن غير باطنه ولا يعلم باطنه إلا الأئمة, والتأويل, والتناسخ, وفرض طاعة الأئمة على جميع الخلق في أي عمل كان, حرامًا أما حلالًا, وهو في الحقيقة لا حرام لديهم إلا إن خلفتهم ففعلك حرام ووجب قتلك).

أما بخصوص كُتاب الإسماعلية فلم يذكرُوا أبا الخطاب إلا قليلاً مثل ما ذكره النعمان بن محمد المغربي قاضي قضاة الإسماعلية في كتابه دعائم الإسلام وإدريس عماد الدين الداعي المطلق في كتابه عيون الأخبار.

والخلاصة أن أبو الخطاب هو المؤسس الأول للإسماعلية عقائدياً مثل ما رأى المستشرقين ماسنيون وفريدليندر وكما رأى القمي والنوبختي وكما نقل عنهم الشيخ الباكستاني إحسان إلهي ظهير الذي اغتيل على أيديهم في عام 1987م.

وتأتي أهمية أبو الخطاب من أن إسماعيل كان يتبعه ويسامره ويشرب معه الخمر كما ثبت أن عقائده أغوته وأوقعته في حبالها وشراكها, فكان يأتي أعمالهم في غالبيتها, ولذلك تبرأ منه أبيه الإمام جعفر الصادق كما تبرأ من أبي الخطاب, ويذكر بأن أبي الخطاب كني بأبي اسماعيل لأنه كان مربياً لإسماعيل بن جعفر متبنيًا له بالأبوة الروحانية, مات إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه, ويتفق فيها غالبية الشيعة الاثنى عشرية وأهل السنة, أما الاسماعلية أنفسهم فاختلَفوا كثيرًا.

بموت اسماعيل بدأ يظهر أكثر الناس شرًا وخبثًا, وهو ميمون القداح بن ديسان والذي زعم أن إسماعيل لم يمِت وإنما انتقل كآخر الأئمة في دور التستر والتخفي, وخلف بدلاً منه ميمون القداح مجاهرًا بدعوته وقائمًا بأموره ومتكلمًا باسمه ومن بعده

ورثها ابنه عبدالله وكان أكثر كذبًا وخبثًا من أبيه, وأنجب عبدالله ولدًا اسمه أحمد والذي تحالف مع حمدان بن الأشعث المعروف بالقرمط واستجاب له في دعوته للإسماعلية, وأنجب أحمد الحسين ومحمد الملقب بأبي الشلعلع, تولى الحسين الدعوة فمات, فتولى محمد أبو الشلعلع الأمامة, ثم عادت لابن الحسين وهو سعيد, وهذا هو الشخصية البارزة والأهم في الإسماعلية.

غالبية من سبقوا الحسين كانوا يقيمون بقرية سليمة بالشام المسماة بهذا الاسم لأن وتقع على بعد 33 كيلومتر شرق حماة, والنسبة الأكبر من سكانها إسماعيليين لليوم, ومنها برز الكاتب الإسماعيلي تامر عارف, ومصطفى غالب الذي عرف في الأوساط الثقافية (بالحرابي) لسرقته المتكررة في كتبه وعدم التزام الأمانة العلمية, وعلى سبيل ذكر الكتاب الإسماعيليين والباحثين في تاريخهم أخبرك ببعضهم قديما وحديثا مثل الدكتور زاهد على الهندي وهو إسماعيلي منصف, والدكتور محمد كامل حسين وهو مصري سني باحث في الدولة الفاطمية والإسماعلية متعاطف قليلاً, والدكتور محمد عبدالله عنان وهو أفضل وأنصف المؤرخين المصريين حديثاً, أما قديماً فالمقريري والذي أجمع المؤرخون والعلماء على تعاطفه معهم لأصوله الفاطمية فحاول إعطاء

تفسيرات عقلانية مختلفة عن كل من سبقوه لتبرير أفعالهم مع أنه كان إمام سني شافعي.

فانعود لمسارنا التاريخي, هرب سعيد من سليمة لمصر ثم للإسكندرية ثم لسجلماسة الواقعة بالمملكة المغربية حاليًا وهي ثاني الإمارات الإسلامية في المغرب الإسلامي بعد القيروان, وكانت إمارة لبني مدرار الخارجية والقائمة على مذهب الصفرات, فلما تسمى بعبيدالله وتكنى بأبي محمد وتلقب بالمهدي ونسب نفسه لآل البيت زورًا وبهتانًا قبض عليه, وبعد تهريبه من قبل الدعاة الإسماعيليين وعلى رأسهم عبدالله الداعي الذي كان مسئول عن نشر الدعوة بأراضي المغرب بدأ يرتاب في مهديته وقداسيته لأفعاله الخليعة وفساده من سفح ونهب وإغتصاب للمال والدور, فقتل النساء والأطفال والعلماء, وقذف الصحابة والأتباع, وحلل المحرمات, وجعل نفسه الإمام الأول في دور الظهور الثاني بعد أن أسس طائفة الإسماعلية كدولة, وبني المهديّة الواقعة حاليًا بتونس عاصمة لها, ومات في عام 322 هـ.

خلفه ابنه القائم بأمر الله, وكان أبشع من والده, فأتى ما أتى به وأشنع, فحاربه الناس وعلى رأسهم زعيم الإباضية وقتئذ أبو يزيد وتحالف معه أهل السنة وقاتلوا بجواره إلى أن انهزم جميع الإسماعلية في المدن المغربية وانحصروا بداخل

المهدية, وقد انحصرت أيضا دعوة التشريق, وكانت تطلق من قبل المغاربة على الإسماعلية نسبة لقدمهم من الشرق الإسلامي, ومات القائم بأمر الله من شدة الحصار بعد أن جن وفقد عقله عام 334هـ.

ومن بعده تولى ابنه إسماعيل المنصور و وعد بأن يغير من مسار أبيه وجده حتى تمكن من هزيمة أبي يزيد الإباضي فسلخه وصلبه ثم أعاد سياسة أبيه وجده, فشرع بالقتل والحرق والنهب إلى أن مات عام 341 هـ, وتولى بعده ابنه معد الإمام الاسماعيلي الرابع, والملقب بالمعز والمكنى بأبي تميم وكان عمره حوالي 23 عام, وأرسل جيشه لغزو مصر بقيادة جوهر الصقلي الذي غزاها سنة 358هـ ومن ثم لحق به المعز ودخلها 362هـ, وظل بها هو وذريته متخفيًا تارة ومتحديًا تارة إلى أن تولى ابنه الثالث الملقب بالعزیز سنة 365 هـ إلى أن توفي 386هـ, وكانت للعزیز جارية مسيحية هي التي ولدت له ست الملك, الأخت الكبرى للحاكم بأمر الله أبو علي المنصور, واختلف المؤرخون هل هذه الجارية هي بعينها أم الحاكم أم غيرها, وتولى الإمامة الحاكم أبو علي المنصور وهو في سن الحادية عشر وكان وحيدًا بعد وفاة أخيه الأكبر, وكان أفسق وأعهر وأفجر وأجرم حكام التاريخ, فما أتى حاكم في التاريخ المصري بما أتى به هذا السفاح في حق المصريين

من نهب وتعذيب وقتل الكبار والأطفال والنساء والعلماء
والتمثيل بالجنث وتقطيع الأيدي والألسنة ومنع الصلوات
وهدم المساجد والكنائس وسب الصحابة والأتباع والأنبياء،
إلى أن تجرأ وادعى الربوبية وألّه نفسه وكان هو المدعي
بنفسه وليس أتباعه كما يظن البعض، فكان يوجههم لنشر
مزاعم دينه الجديد ومرسلًا جميع كتاباته وخطاباته بعبارة
"بسم الحاكم الرحمن الرحيم" وهذا ما اتفق جميع المؤرخون
عليه.

إلى أن مات في شوال سنة 411هـ في جبل المقطم ويقال طبقًا
لبعض الروايات أنه قتل بتدبير من أخته ست الملك، وكان
عمره وقتئذ 36 عام ولم يعثر على جثته، بينما طائفة الدروز
تؤمن إيمان عميق بأنه اختفى ليعود في آخر الزمان ولهذا
يقصدون مسجده الحاكم بأمر الله ويحجون إليه سنويًا بدلًا من
مكة كما تنص كتبهم السرية، وقد أورث الإمامة لأحد أبناء
عمومته وهو عبدالرحيم بن إلياس بن المهدي ولكن ست الملك
عزلته وولت ابن الحاكم بدلًا منه والملقب بالظاهر وجمعت له
البيعة في عيد الأضحى سنة 411 هـ، وكان سكيرًا فاسقًا غير
مبالٍ بأمور الشعب والحكم، كان يلبس كالنساء ولا يفارق
المغنيات، واشتد القحط بمصر فكان الناس يموتون جوعًا في
مصر والشام وكانت أمور الدولة في يد عمته ست الملك

ووزيره، إلى أن توفي عام 427 هـ، وخلف ابنه معد المكنى
 بأبي تميم والملقب بالمستنصر والذي وقعت في عهده الشدة
 المستنصرية التي مات فيها ثلث أهل مصر أو نصفهم على
 اختلاف المؤرخين، ومات عام 487 هـ، وترك أربع أولاد
 أكبرهم نزار وأصغرهم أحمد الملقب بالمستعلي.
 ومن هنا تبدأ حقبة جديدة وانقسام في الفرقة الإسماعلية، فكان
 الوزير الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي يكره
 نزار الأكبر ولهذا ساعد أحمد الأصغر على تولية الإمامة
 والزعامة، ومن هنا ولدت الفرقتين النزارية وعلى رأسها
 حسن الصباح وأتباعه وهم الأغاخانية حاليًا، والمستعلية أو
 الأحمدية نسبة لأحمد المستعلي وهم البهرة حاليًا.
 ودفن المستعلي أخيه نزار حيًا وبني عليه حائط، ولهذا تعتقد
 الأغاخانية بأن مكان الدفن كما تنص عليه خرائطهم وكتبهم
 الباطنية السرية هو مكان حديقة "الأزهر بارك" الحالية ولهذا
 قاموا بإنشائها رغبة منهم في تحسين وتهيئة مقام ومقر
 المهدي المنتظر في حين عودته الأخيرة لإنقاذهم.
 توفي المستعلي في عام 495 هـ وخلفه ابنه صاحب الخمس
 سنوات الذي نصبه الأفضل أيضًا ولقبه بالأمير بأحكام الله
 وكان سفاخًا وفاحشًا ومحبًا للهو، وكان يقضي طوال يومه في

قصره الهودج الذي بناه بالروضة لمحبوبته بدرية, وقتله
النزاريون عام 524هـ.

ومن هنا ينتهي دور الظهور الثاني وتبدأ مرحلة دور التستر
مرة أخرى, وآخر الظاهرين هو بالنسبة لهم مهديهم المنتظر,
فالمستعليون أو البهرة يرون الأمر بن المستعلي آخر الأئمة
وهو مهديهم المنتظر, والنزاريون أو الآغاخنية يرون أن نزار
هو آخر الأئمة ولا يعترفون بإمامة المستعلي أو ابنه الأمر.
وتقوم فكرتهم الأساسية كلها على الإدعاء بالانتساب لأهل
البيت من علي وفاطمة وفي الحقيقة أثبت الجميع عدم صحة
انتسابهم إلا ثلاث من القدماء؛ المقريري وهو المتعاطف معهم
نسبه إليهم, وابن الأثير وكل حججه في الحقيقة واهية, وابن
خلدون وهو كما يرى الكثير بسبب عداوته لبعض من أهل
البيت فأوقع نفسه في هذا الخطأ العلمي الذي لا يجب على
قائمة بحجمه ومكانته فحاول نسبهم بأحجية ركيكة لينسب لآل
البيت العيبة والنقيصة, وهم منهم براء, أما على الجانب الآخر
فبعض من المستشرقين التابعين للمؤسسات الإسماعلية
الحديثة التي تدفع لهم بوزن كتبهم ذهبًا والمنتشرة في كل بلاد
العالم وخاصة لندن وكندا, والذي يرأسها حاليًا أغني رجل
ديني في العالم وهو الإمام أمير المؤمنين المعصوم الآغا خان
الرابع كريم الحسين شاه الذي بلغت ثروته 47 مليار دولار

أمريكي و 89 كيلو من الذهب والماس الذي يجنيه من أتباعه ببند الزكاة الذي يخرج من جيوب الأتباع ليدخل جيب الإمام تقديراً منهم لتحمله تعب ومشقة الإمامة وإعترافاً بجهوده في خدمتهم, أو سرقتهم!, وهو بعينه الإمام الذي أغرمته محكمة الإستئناف الفرنسية في عام 2011م بغرامة وقدرها (60) ستون مليون يورو تعويضاً لزوجته الألمانية جابريل لتحمله مسئولية فشل الزواج لعلاقاته النسائية الغير محدودة, كما حكمت لها بالانفصال, وأما جده الإمام الثامن والأربعون السير سلطان محمد شاه الأغا خان الثالث والمدفون بضريحه على نيل أسوان بناء على وصيته والمبني على طراز أجداده الفاطميين, والذي جمع أكبر كمية ذهب في العالم بأسره أثناء احتفالات تنصيبه المتعددة, هو بعينه الذي استخدمته بريطانيا لتهديد الملك عباس حلمي الثاني بخلعه وتوليته عرش مصر, وبالفعل جاء لمصر وحاولت تبيض تاريخه ومحو فضائحه وسحب جميع الكتب المعادية له من المكتبات وبدأت تلمعه كأمرير المؤمنين وهو كان في ذلك الوقت ممثلاً للهند في عصبة الأمم, إلا أنه كشف فيما بعد في مذكراته أنه لم يأتى مصر ليتولى العرش وإنما كانت عملية مكلف بها من المخابرات البريطانية من أجل تهدئة الشارع المصري والانخراط في صفوف المثقفين لتهيئة الجو العام لتقبل تولية

حسين كامل عرش مصر مستخدمًا أسلحته الخبيثة التي كشفت
العديد من المصادر عنها فيما بعد إلا أنها أجببت ومنعت من
النشر في الكثير من البلاد واختفت بأكلمها سواء مكتوبة أو
مسموعة, إلى أن وصل الأمر لإطلاق التهديدات علنية
بالحبس الأبدي أو التصفية الجسدية لمن يتطرق في الحديث
عنهم ولا أحد يعلم لماذا نحن في مصر.....

صمت الصاقر فجأة وشعر بجفاف حلقه وارتعاش أوصاله حيث
أدرك أنه اندفع وأخذته الحمية فبدأ يتحدث فيما لا ينبغي الحديث عنه,
ففتح زجاجة الماء وقبض عليها بأسنانه ليسكب منها ما يلين حلقه
ويهدئ روعه هاربًا من استئناف الحديث راجيًا في علا الإنقاذ
والتي أخذت بدورها تكمل سريعًا قبل أن تتلقي من رواية أسئلتها
الفضولية والتي دوما ما تكون حرجة وقاسية:-

- أما التاريخ الإرهابي, فمؤسس جماعة الإسماعيلية النزارية
والمشهورة بالحشاشين هو حسن بن علي الصباح والملقب
بالمعلم وشيخ الجبل, وهو مواليد 428هـ- 1037 م بمدينة قم,
ثم انتقل للري إلى أن وصل لمصر أيام الخليفة المستنصر,
وفي اجتماعه معه أبلغه أن ابنه نزار هو الإمام من بعده ولهذا
اختلف مع الأفضل شاهنشاه عندما أراد ان يولي أحمد
المستعلي, فكون جماعة النزارية ثم هاجر من مصر لبلاد

فارس ليبدأ حقبة جديدة هي الأولى من نوعها في التاريخ حيث الإرهاب والاعتقال باسم الدين, وما زالت نشطة لليوم. وكانت أول عاصمة له هي قلعة الموت بإيران, وأول من حكى عنهم باسم الحشاشين في التاريخ هم الصليبيون عندما عادوا لأوروبا وأطلقوا عليهم الحشاشين لإعتقادهم بأن لا يتبع هذه الفرقة إلا المغيب عن الوعي بشرب الحشيش الذي كان مشهورًا آنذاك في بلاد الشرق, ولهذا عندما كتبوا عنهم كانوا يقولون assain بما يعني حشاشين ومن هنا ولدت كلمة assassin بمعنى القاتل المحترف, فكان الصباح يأمرهم بالقتل بالخنجر المسموم خداعًا وخلصًا إما في المسجد أو حلقات الدراسة, وكانوا محترفين, فلم يخطئوا أبدا حتى أنه كان باستطاعتهم الدخول للمخادع الخاصة وترك الخنجر بجانب أي من أرادوا لتخويفه, حيث كانوا يطيعونه طاعة عمياء فإن قتلوا فلهم الجنة, ولا أحد يعرف هل كانوا بالفعل يشربون الحشيش أما لا, ولا يستبعد هذا الاحتمال لأن الصباح كان بارع في الكيمياء والتجارب والفلك, ومن الممكن أيضًا أنهم تلقبوا هكذا لأنهم كانوا يعتمدون على أكل الحشائش في أوقات الحصار التي كانت تمتد لسنوات, إلا أن جميع مورخي العالم من كل الأديان والطوائف تجتمع على رأي واحد وهو أن الصباح أول إرهابي في التاريخ استغل اسم الدين

الإسلامي الحنيف ولوثه بأفكاره العقيمة وحبه للسلطة
والرئاسة وتعطشه للدماء باسم العدل ونصرة الفقراء
والمظلومين, وكان أشهر اغتيال في عصره الوزير السلجوقي
الشهير نظام الملك في عام 1092م 485هـ, الذي بنى
المدارس النظامية لمكافحة خطر فكر الباطنية وكان إمامنا أبو
حامد الغزالي شيخ الإسلام صديق نظام الملك وأحد أقطاب
المدرسة النظامية ببغداد, ومن عجائب ذلك الزمن والمجتمع
أنه حوى أهم أربع شخصيات تاريخية, وكل بارع في مجاله,
نظام الملك أشهر وأصلح وزير سلجوقي, عمر الخيام الشاعر
والعالم والفلكي الفارسي الأشهر, وأبو حامد الغزالي شيخ
الإسلام العالم والفقير والمتصوف والفيلسوف, وحسن الصباح
الإرهابي الأول في التاريخ الإسلامي, والشواهد كثيرة على
اجتماعهم صغارًا سويًا في أنحاء كثيرة من الحياة منها
الدراسة سويًا.

مع زيادة نفوذ وسيطرة الموت ضم الصباح قلاع مجاورة
حتى أنه تعاون مع الصليبيين واستقبلهم في حصنه ليعرض
قدراته من تجارب كيميائية وأفكار فلسفية ومدى طاعة أتباعه,
ثم أرسل الفرق السرية للشام حتى استقر لها الأمر, ولكن
بدأت تقوى وتهيمن في عهد شيخ الجبل سنان رشيد الدين
1162م, والذي لم يكن للإرهاب في عصره حد, حيث قتل

وذبح وشرذ من العلماء والعامّة على حد سواء, وساعد
الصلبيين وأمدّهم بكل سلاح ومال ورجال لمحاربة المسلمين,
غير أنه حاول قتل صلاح الدين إلا أنه فشل.
وكل محاولات في محاصرتهم أو القضاء عليهم من قبل الدولة
السلجوقية فشلت, ولم ينجح سوى المغول في التخلص منهم
فقتلهم وأحرقوا غالبية كتبهم العلمية والفلسفية التي كتبها
الصباح فحيث لا علم إلا منه.

(43)

في 18 شارع هدى شعرواي القاهرة, حيث مقر السفارة
الرسمي, تقف سماء عارية الجسد حليقة الشعر مشجوجة الفم
مخدوشة الوجه مخموشة الحلمتين موثقة اليدين مثبتة القدمين, وكل
هذا لا يشبع نهم جيلان الحسن وتعطشها لإهانة تلك البريئة,
فأحضرت قضيبة غليظة وحشرتها بداخلها في محاولة لإذلالها لعلها
تحاول نجاة نفسها بالإفصاح عن خطة الصقور القادمة, وبعد فشل
كل الأساليب لعدم معرفة سماء بشيء, لجأت لإستخدام الحوار لعله
يؤتي أوكله, ولهذا أخرجت البطاقة الأخيرة في لعبتها فصحبت معها
في اليوم التالي الدكتور جروان, فما أن رآته سماء وتحققت منه
حتى غضبت واحتقن وجهها, ثم ضحكت ساخرة من نفسها بعد أن
تذكرت زيارته لها في ماردين وقالت بحسرة وأسى:-

- الآن فهمت, أنت تعمل معهم إذن, أنت من وضعت الصابونة
التي وجدتها رواية في حقيبي؟! , بررت الزيارة وقتنذ بأنك
أنتيت لكي تجعلني ألين قلب العم علاء من ناحيتك وأجعله
يصفى لك.

أطرق جروان رأسه أرضًا, فسكتت قليلًا, ويكسو ملامحها

الغضب, بينما تلطخ الدماء جسدها, ثم أردفت:-

- كم كنت ساذجة وحمقاء عندما وثقت بك وبألا أخبر أحد عن

زيارتك!

فرد جروان بلهجته الناعمة في محاولة للاستمالة والإعتذار:-

- أعتذر لك بشدة يا سماء, أرجوك تقبلي أسفي فكما تعرفين حبي لك وإعجابي بك, أقسم لك لم أكن أريد أن أعرضك لأي أذى ولكن كنت أريد حمايتك أنتِ وعلاء بعدم الانخراط في هذه الأعمال الخطيرة.

لم تستطع جيلان كتم سخريتها وضحكتها من تمثيل جروان لدور البريء فقالت مستهزأة بهما:-

- لا وقت لهذا التعاطف والمشاعر الجياشة أيها العم مع طفلاته المدللة, فلدينا عمل أهم.

ثم رمت بإشارة من عينيها لمساعد لها واقفاً على مسافة لفك القيود, ففعل ما أمر به ثم أجلسها على الأرضية, فأخذت جيلان كرسيها إلى أن اقتربت من سماء فوضعت أمامها وجلست رافعة رجليها على كتفيها حتى أحكمت رأسها بينهما, ثم قالت وهي تنظر بعيون شامته لجروان:-

- بصراحة يا سمسومة, عمك جروان كذاب, لأننا كنا نعرف جميع تحركاتكم وخططكم من خلال ما استطاع أن يزرعه في أغراضك ولهذا عندما توقف عمك معهم وعدتي للقاهرة لم نتمكن منهم مرة أخرى.

فنظرت سماء بعيون آسفة وملامح متحسرة على ما آل إليه حال
جروان, ثم أعادت عيونها لتلتقي بعيون جيلان وهي بين قدميها, وقد
أكسبت شعاعها هذه المرة كبرياء, ثم قالت بشجاعة:-

- الحمد لله أنني خرجت من دائرتهم, وإن كان موتي خير لهم,
ففدائي فدائي.

ثم أردفت مستفسرة:-

- لدي سؤال يحيرني, نحن نعمل مع الصقور من أجل خدمة
البلد ومما أعرفه عنك أنك نسر بالجهاز الأمني المفترض أنه
يعمل أيضًا في خدمة الوطن, فكيف لك أن تكمني لنا كل هذه
العداوة وكيف لك كل هذه الإمكانيات التي تؤهلك لأن تحاربي
جهاز الصقور الذي بدوره أقوى وأعم وأشمل من الجهاز
الأمني؟

- سؤالك منطقي يا سمسومة, ولهذا سأجيب عليك حتى تجيبي
على أسئلتني, اتفقنا؟

لم تجد من سماء رد, فتابعت مجبرة فلا حل لها إلا مجارتها:-

- أنا في واقع الأمر أعمل بصفة رسمية مع جهاز النسور, أما
عملي السري والحقيقي هو المسئول الأمني السري بسفارة
دولة النظام العسكري ذو السيادة المستقلة

لمالطا SOVEREIGN MILITARY ORDER of

MALTA بالقاهرة.

- نعم تفهمت, الدولة الأعجب في العالم, دولة الشياطين.

ثم ضحكت بصوت مرتفع ساخرة وتابعت:-

- أما أنها دولة عفاريت, بما أنها دولة بدون أرض أو بشر؟

فأحكمت جيلان قدميها على عنق سماء مما أحنقها وصرخت بشدة
وعدائية:-

- لا أحب كلمة دولة الشياطين, لا تقوليها ثانية حتى لا تفقدني

رأسك هذه, فليس لنا أرض محددة لأن جميع الأراضي

أراضيها, وليس لنا بشر لأن جميع البشر عبيدنا وكلاب في
خدمتنا.

فسألت سماء بصوت محبوب من أثر خنقها:-

- العالم أجمع دائما ما يطالب بالإجابة عن سؤال واحد ولا أحد

يجيبه, لماذا تعترف بكم كل هذه الدول وتسمح بتواجدكم على

أراضيها بهذا التمثيل الدبلوماسي المزيف مع علمهم بحقيقتكم
وإرهابكم؟

- أنا سأجيبك لأنك كغيرك تعيشين في وهم, كل الرؤساء

والحكومات والهيئات الدولية تعرفنا ونعرفها جيدا فأوارقنا

مكشوفة أمام بعضنا البعض, وهي في حاجة لنا أكثر من

حاجتنا لها, لأننا وحدنا القادرين على تبييض أموالهم وتهريبها

بصفتنا الدولية والدبلوماسية بعيدا عن عيون ومراقبة أجهزتهم

المحلية, فنحن دولة ومنظمة وشركة غير شرعية غير أننا

نسرق ونقتل ونهدم ونتاجر بالبشر ونفتعل الحروب ونبيع
الأسلحة ونقاتل أحياناً في جانب القوي على حساب الضعيف،
وجميع الحكومات تعرف وتسهل لنا مهماتنا لأنها في حاجة لنا
أكثر من حاجتنا إليها فهي لا تثق في شعبها ولا جيشها ولا
أجهزتها الأمنية كما تثق بنا، فهي تعلم قدراتنا وولاءنا فإذا
كانت صديقتنا فلا خوف عليها، فنحن سمسار المعلومات
الأكبر في العالم حيث نملك بورصة المعلومات التي تصب
فيها جميع الأجهزة الأمنية معلوماتها وكل بسعره، غير أننا
الجهة الأكثر اعتماداً عليها في حالة الرغبة في القيام بأي
انقلاب أو منعه في دول العالم الثالث وكل أيضاً بسعره، غير
أننا نملك أهم وأكبر شركات الحراسة المدنية المسئولة عن
تسهيل عمليات الجماعات المتطرفة والإرهابية وتسهيل أي
عمليات حربية مثل ما انتشر بخصوص حرب العراق
وشركات "بلاك ووتر" وتم تكذيبها ونفيها من جميع رؤساء
العالم وهي حقيقة وكلهم يعلمونها، وإنما في هذا العالم ما نريده
أن يكون حقيقة فسيكون حقيقة وما نريده أن يكون كذب
سيكون كذب، هل تعلمين كم محطة إعلامية ملك لنا في جميع
أنحاء العالم؟ هل تعلمين عدد المحطات في البلاد العربية؟ في
مصر؟ فلماذا أقول لك باختصار وبكل فخر نحن الأقوى، فمن
مصلحتك أن تعطيني ما أريد.

- يا الله, ماذا تريدون منا وما علاقتكم بالحشاشين فهم يدعون للإسلام وأنتم تدعمون المسيحية؟
- في الحقيقة لا تشغلنا المسيحية, ولا هم يهتمون بالإسلام, وإنما نريد جميعا المصلحة العليا, السلطة والمال, أما الأديان فتركناها لكم, ولهذا حاليًا نقوم بعملية رد الجميل فما قمنا في هذه الأرض ولا استطعنا التمكن منها إلا بوقوف الحشاشين معنا في النشأة الأولى, زمن الأجداد, واليوم حيث نمتلك كل شيء من مال وحكم وسياسة وتكنولوجيا فإننا نساعدهم على تكوين العالم الجديد على أن يكون بالشراكة بيننا وبينهم.
- قاطعتها السكرتيرة لوصول إيميل من المكتب الرئاسي يوبخها على استخدام مقر السفارة العلني, ويحثها على إنهاء الفوضى التي تابعت خطف سماء بإرسالها للجزيرة مع الدكتور علاء الدين بعد اختطافه لما يثيره من مشاكل مؤخرًا.

(44)

بعد أن ذهبت رواية مع سمسارة الأجيال لإكمال خطتهم الموضوعية, ارتحلت علا والساقر لغرفة العمليات الأهم والأخطر في خطتهم, والتي اختيرت وصممت على الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الداخلة بجانب مدرسة تعليم ركوب الأمواج, تجلس علا على الرمال الناعمة بواجهة الماء المخضر الذي يداعب بين الحين والحين باطن قدميها, وجُل تركيزها على صورة وائل التي بين يديها, غائصة في الذكريات وقد خيم الحزن على وجهها بعد مكالمتها مع علاء حيث لا جديد, فمنذ عودته لمصر وهو يستكمل رحلته في البحث عن جثة إبنهما, فبعد مجزرة إستاذ بورسعيد وإختفائه اعتبر في قوائم الضحايا إلا أن السلطات الأمنية مازالت تبحث عنه وعن عشرة جثث أخرى مفقودة منذ الحادثة, وبجانبيها الصاقر منهمكاً في القراءة حيث استلم الملف الذي طلبه من قسم البحوث بالقبة ففتحه وأخذ يطلع عليه؛ "إلى من يهمه الأمر.....", بناء على معرفتنا الآن بحقيقة الجهات المشتركة والمدعمة لهم بحثنا في كل تجاربهم السابقة في مثل هذه المشاريع العالمية لنستطيع أن نخمن سياساتهم, والتي وجدنا أنها قائمة على فلسفتهم القديمة بفك علاقة الدال بالمدلول, بعيداً عن المصطلحات الفلسفية وتعمقاتها, فالدال هو الصورة الصوتية التي تعني الشيء وتدل عليه, والمدلول هو الصورة الذهنية للشيء المعني, بمعنى أن هذا الكتاب هو كتاب

لأننا جميعًا تعرفنا عليه بهذا الاسم, وإن تغير النطق من لغة للغة ولكن يظل هناك في كل مجتمع تعارف وتواطؤ عليه بصفته وباسمه, فعند أي انجليزي كلمة book يقابل هذا المعنى والاصطلاح عند أي عربي بكلمة كتاب, ولهذا يطوعون الكلمات والجذور ويغيرون معناها بقاعدة أن لكل كلمة ظاهرة معنى باطن, للهروب من الفروض والواجبات, فعندما تتحدث معهم في أي أمر يقولون لك هذه الكلمة ليست بالمفهوم الذي يصل إليك وإنما الإمام له تفسير ومفهوم خاص موحى له من الله, ولهذا عندما يذكرون كلمة الطهارة فهم يقصدون الطهارة من كل شيء ما عدا عقيدتهم, وليست الطهارة أي الوضوء والاعتسال, وهكذا الصلاة والحج والزواج والزكاة مما يجعلهم يبحون كل محرمات, ويمارسون زنا المحارم ويجعلونه وسيلة تقرب وطاعة لله تحت فرض صلة الأرحام, ولهذا هم أخطر الطوائف والفئات لأن ليس بينك وبينهم قواعد وثوابت عقلية مشتركة فتستطيع أن تتحدث معهم وتحاورهم.

ومثل هذا ما تقوم عليه سياساتهم في مشاريع "الأفلام الإباحية" والقصص الجنسية" والتي يمتلكون 43% من حجم تجارتها الدولية, و79% من الموجهة بشكل خاص للمجتمعات العربية والمسلمة, حيث أن لضمان الربح والمكسب يعتمدون على فلسفة تزيف الوعي بتغيير مضمون المفاهيم, وهي أفكار حسن الصباح القديمة بعينها, فالذي تعتقده وتربى عليه طوال حياتك بأنه حرام أو

عيب أو شاذ هو يحاول دومًا أن يظهره لك على أنه فطري وطبيعي, فهدفه ترسيخ فكرة أن الجميع يسعون وراء شهواتهم, ويجعلون كل هذا في صورة طبيعية وعادية وواقعية ترسخ في اعتقادك أن جميع النساء خائفات ولا يبحثن سوى عن الفحل الذي يشبع رغباتهن, وأن المرأة جسد فقط من حقاك ضربها وإهانتها وهذا يكسبك رجولة أكثر, وأن ممارسة المحارم إن لم يكن فرض ديني عليك فهو شيء غريزي فلا تحرم نفسك منه, والمثلية هي طبيعة فطرية عليك تجريبها, وأن الزوجة من حقها الممارسة مع غير زوجها فهذا يكسب لها ولك متعة أفضل, وكل هذا من خلال ملايين الأفلام والمقاطع المرئية والقصص, والمعدة بشكل احترافي, والتي يشرف عليها علماء وأخصائيين من أجل التحسن والاستمرارية لضمان مكاسبهم, سواء المادية أو الفكرية.

والخلاصة, أنه من خلال أبحاثنا في التجارب السابقة منذ أيام حسن الصباح في قلعة الموت واختياره للأصغر سنًا للقيام بهمة الفدائي, ومع معطيات ما لدينا عن عملياتهم الحالية, نستنتج أنهم يطبقون سياسة خلق مفاهيم مغلوطة ومغايرة في العقلي الجمعي للأطفال, فبدلًا من تسميته كتاب إذا سموه قلم وتعلمته الأطفال على أنه قلم سيكبر الأطفال ويعيشون طوال حياتهم وهم على يقين أنه قلم طالما العقل الفردي والجمعي توحد على هذا المفهوم, ولهذا نتوقع أن عملياتهم الحالية هي خلق مجتمع من الأطفال يرسخون بداخلهم أن

الغير كافر وشيطان, وأن قتل الغير هو السبب الذي من أجله خلقوا,
وأن الجنة للقاتل وأن مرتبته فيها بعدد قتلاه, وهكذا دواليك بتغيير
المفاهيم بما يخدم مصلحتهم عند أمرهم باجتياح العالم.

تحياتي

رئيس قسم البحوث الفلسفية والدينية

(45)

تمكنت السمسارة من تبديل طفلهم المراد بأنيس إبان تسليمه
ومعه أوراق ما تثبت الإخفاء كما تنص الشروط الصارمة, وغالبًا
ما يكون الناتج المستهدف سنويًا من ثلاثة لخمسة آلاف طفل ذكر,
بلا أي إناث, وبجدارة ولثقتهم بها استطاعت من خلال الرشاوي أن
تلحق رواية بقسم الخدمات, والذي يحظى على درجة أقل في اهتمام
المعلم وشيخ الجزيرة الذي يملك الأرض والبحر والسماء والعباد,
فقد تمكن العالم الجديد بمساعدة حلفائه وشركائه من بناء جزيرة
صناعية كمقر له في المياه الدولية على هيئة صليب ثماني الشكل
باستخدام الذكاء الاصطناعي, حيث كل شيء بالريموت المحرك
الذي في يد الشيخ يحركه كيفما شاء, ولا ثاني لها ولا مثل في
الهيئة أو البناء أو التكنولوجيا في أي من أنحاء العالم, وتقع في
المحيط الأطلسي بين جزر كناري الإسبانية وجزر جمهورية
الرأس الأخضر وقبالة جمهورية الصحراء العربية الديمقراطية
التي اختارتها الصقور, وتحديدًا شبه جزيرة الداخلة, لمراقبة الوضع
وسهولة استلام الإشعارات.

في الجزء السطحي من الجزيرة يعيش الأطفال في أيقونات
إلكترونية مقسمة لخنادق, ويتم تأهيلهم بالبرامج والريبورتات
الإلكترونية التي يتحكم بها المعلم, ويصلهم الطعام والشراب من
مجاري آلية بدون ملامسة الشياطين القابعين بالجزء المائي كما

يطلق الشيخ على مئات النساء الملحقات بأقسام الخدمات, أما في الجزء السماوي يعيش الشيخ ومعه العشرات من النساء الجميلات العاريات وهن في أحسن الصور وأبدعها وهن الملائكة, ملك للشيخ وحده, وقد صمم على هيئة سماء افتراضية بشمس صناعية يتحكم في شروقها وغروبها حينما أراد, وقمر إلكتروني يتحكم في أطواره كيفما شاء.

أما الزعامة المسلحة للغارة والحراسة فهي من مهام الرفيق وهو أعلى منصب للقادة العسكريين في جيش الحشاشين وهو بدرجة نائب شيخ الجزيرة, وهي المرتبة الوحيدة من مراتب الإسماعيلية السبع التي يحظى بها الشباب لإعتمادها على الكفاءة والقوة لا الدم أو النسب لخطورتها وأهميتها, وهي المسئولة عن التدريب الميداني للأطفال لعمليات الاغتيال سواء بالواجهة أو الخداع أو الاحتيال أو التعذيب, ويتولاها الرفيق كليب الدين الأصغر سنًا والأكثر تفوقًا, وقد بلغت الزعامة في عهده ثلاثون حظيرة, كل حظيرة تضم خمسة عشر مرتزقة أفارقة مبتاعون من سوق العبيد بليبيا, وهو الأكبر في أفريقيا حيث يحوي على أكبر عدد متنوع من الجنسيات حيث الفتيات وأغلبهن من نيجريا ومالي وموجهون للسوق الإيطالي والإسباني حيث الدعارة القسرية والجنس الإجباري, والذكور غالبيتهم أطفال مختطفة ومهربة عن طريق قبائل العجر من مصر والسودان وتونس والجزائر والتي

يبلغ عددها ما بين سبعة لعشرة ألف طفل سنويًا, ومن مهام الحظائر تأمين الجزيرة وحراستها والقيام بالهجمات والغارات الخارجية لجلب الموارد الغذائية من أسرى وسبايا, ومقرها على شواطئ الجزيرة حيث يقبع أربعة وعشرون يخت من أكبر وأفخر أنواع اليخوت في العالم الذي يبلغ طول الواحد منها 145م بتكلفة 110مليون يورو, ويتبعها ثماني غاطسات وأربع غواصات بدون بحار, وعلى كل يخت مهبط يضم أربع طائرات, غير جراج به عشر سيارات ذات دفع رباعي, ومخزن للأسلحة وقاعدة إطلاق الصواريخ.

استقر أنيس دخل خندقه وهو يحظى بروية الشيخ ساعة فجرًا ليسجدوا فيها أمامه ويقبلون قدميه, وخلال النهار يتعلمون النطق والكلام من القواميس الآلية المصممة على طراز ريبورت والمعدة بأعلى تكنولوجيا, ولكل سبعة أطفال ريبورتان أحدهما يطلقون عليه المأذون والآخر الراعي واللذين يتولان تعليم وتأهيل الأطفال من خلال التطبيقات الآلية كتطبيق الإمام وتطبيق المعلم وتطبيق الداعي وكلها تعمل على ترسيخ مبادئهم من مفاهيم ومصطلحات لتنمية قدراتهم اللغوية والعقلية في المواجهة والتعامل مع البشر حين ذهابهم وبعثهم الأول لليابسة, أما في المساء يحشد الشيخ الجميع بإنارة القمر أثناء هبوطه من السماء في الأيقونة الكبرى حيث يصلب فيها ثلاثة أسرى وثلاث سبايا, ويستلم كل طفل كوب ومعه

إبرة مدببة ليؤخذ بها جسم الأسير سبع وخزات لينزف منه دمًا يملئ
نصف الكوب, ثم يخلطه ببوله مع قليل من الخمر لتجرعه بشهية
قبل تناول العشاء المعد من اللحم المشوي للأسرى منزوعي الدماء.

(46)

في صباح اليوم الثالث لوصول أنيس, بعد أن أحضر الرفيق كليب الدين مجموعة جديدة من الأطفال المنتجة وسلمها للأيقونات, أبلغه قسم الخدمات الغذائية عن عجز في الكائنات البشرية وحاجتهم الضرورية لإحضار أسرى وسبايا جدد, فاستجاب لطلبهم وأذن لهم لعشاء اليوم بتقديم الجواسيس المحتجزون بالغواصات في أعماق المحيط, والأطفال الذين ثبت عدم صلحتهم لأمراض التوحد, فلم يعد لوجودهم جدوى.

وفي المساء, كان الرفيق قد أعد خطة هجومية بناء على ما ورده من عيون في المدن والقرى المحيطة, فجهز يخت بثلاث حظائر ومحمل بخمسة عشر سيارة رباعية الدفع لتنفيذ الغارة, بينما على الجزيرة هبط الشيخ للأيقونة وأنار القمر, فصعد لمنصة النزف والذبح ستة من أطفال التوحد وثلاثة من الجواسيس المحتجزة, وبمجرد ظهور ثانيهم تفاعلت الخصية الإلكترونية المزروعة بداخل كيس الصفن الخاص بأنيس, وهي أحدث وأقوى أجهزة تفاعل الإشارات المعقدة لقدرتها على التعرف على بصمة الحمض النووي بالاستشعار عن بعد, فأرسلت بدورها إشعارات مكثفة تشكل صور ثلاثية الأبعاد لغرفة العمليات بالمقر الأمن بالداخل, والتي أرسلتها على الفور للقاهرة لإعطاء الإذن بالتسلل والاقترام لإنقاذ الثلاثي بإنزال الضفادع البشرية الخاصة, ولكنها تفاجأت بوقف العملية

رسمياً بناء على أوامر سيادة الفيخمان لما أثارته من مشاكل دبلوماسية وسياسية وتضارب لمصالح قوى عظمى, وأمرت بعودة طاقم الصقور فوراً للقاهرة, فما كان من الصاقر وعلا إلا تقديم استقالتهم على الفور لإكمال الخطة بشكل شخصي, فوقف العملية أو تعطيلها أمر متنبأ به منذ معرفتهم ارتباط العملية بأكبر الشخصيات نفوذاً في العالم, فقطعت القبة الاتصالات مع الداخلة, وأرخت استقالتهم بتاريخ عام مضى وقدمت للفيخمان ليبرر موقفه وموقف أجهزته من هولاء المتمردين, أما علا والصاقر فأرسلوا لرواية الإشارة المتفق عليها حتى تقوم من خلال وجودها في قسم الخدمات الفنية تحت الماء بتدمير خط الإنترنت البحري الذي تقوم عليه تكنولوجيا الجزيرة, وهذا ما قامت به بجدارة, فبدأ الصاقر وعلا في التسليح والغوص للهجوم في محاولة لإنقاذ أنسيموس وأنيس ورواية, وفي تلك الأثناء كان الرفيق كليب الدين ورجاله على البوابة الغربية لشنقيط طبقاً للمعلومات التي كانت وردته عن وجود العديد من النساء بدون أدنى حماية أو حراسة مما يسهل عليه الهجوم واختطافهن, سار بمرتزقته حتى وصلوا للساحة المنيرة بالشموع حيث تجلس روح القلوب وجوارها نيلوس يتسامرن ومن حولهما المتجولات كل مستغرقة في شأنها, فأسروهن بعد التحرش بهن وضربهن ولم يعيروا لبكائهن وتوسلاتهن بالألأ, وإختص الرفيق نفسه بزُوح القلوب بعد أن رأى جميع العيون تصوب نحوها في

استسلام منهن فضربها بيديه الغليظتين وهي تتصنع الرضا والابتسام في وجهه لتطمئن متجولاتها, وبين اللكمة والأخرى تعلق بصره بسلسلة معاقة حول رقبتها تنتهي بقلب جلدي ومخفية تحت عبائتها, فانتزعها منها بلا أي رحمة, وكان قد سبق وأوصت متجولاتها إذا جاء أجلها فلتدفن معها.

أمر الرفيق بشحنهن في السيارات التي أخذت طريقها حتى أتت الشاطئ فصعدت على التخت بما حوت, وأثناء إبحارهم للجزيرة انتابه فضول لقراءة ما في الورقة التي وجدها في القلب الجلدي, ففضها وقرأ ما سطر باليد؛

"محمد بن عبدالله, رسول الله, ما الذي صنعه بي؟, كيف لك أن أسرتني هكذا؟, لماذا أحببتك؟, لم أراك, لم أسمعك, لم أخاطبك, لم أظن يوماً سينبض قلبي لبشر في غمار هذا الكون غير المسيح, ولكنني أحببتك حباً جماً, بل أنت من أحببني في المسيح أكثر, والأهم, أنك أحببتي في الله, فلم أعرف الرب حقه معرفته إلا منك وبك, يا رسول الله, لماذا عندما أسمع قولك يرق قلبي وتدمع عيني؟, أصبحت مرشدي في قيامي وقعودي, أضحيت أفرق بين الأحاديث الصحيحة عنك والمكذوبة عليك ولست بفقيرة ولا محدثة, ولا أحفظ الصحيحان ولا غيرهما, كلامك الحقيقي يهزني ويلمس أبعد نقط بداخلي ثم يستقر بقلبي, قولك يأسر عقلي فأسمع صوتاً ينبعث من داخلي يخبرني في رفق هذا كلام حبيبك خذيه

وطبقه فهو السبيل لملاقاته بعد حين, أطبق سنتك, أفعالك, أقوالك,
 طمعًا في رؤيتك, في مصاحبتك, في مجالستك, وإذا كان قول
 موضوع, فقلبي ينفر منه ويصيح لي أبعدني عن هذا فحبيبك منه
 برئ, فاجتنبه وأبعده عني حتى أتقرب منك وتتقرب مني, بداخلي
 حاكم عادل يخبرني دائما بأن هذا يرضيك وهذا يغضبك, وهذا تحبه
 وهذا تكرهه, فتلقائيًا أتبع صحيحك وأعدل عن غيره.

تأتيني دائما في رفق ولين لتتصحنني, أتخيلك وأنت أمامي ترشدني
 بمعروف وبشاشة, فبينما أنت هكذا هؤلاء الدعاة المدعين يدعوننا
 بالفضافة وينعتونا بالفساق, تالله من أحبك بصدق لا فظ قلبه ولا
 تعنف, فأنت رسول الرحمن الرحيم.

يا حبيبي يا رسول الله, أسمعني؟, أتراني؟, إن لم تكن تسمعني
 ولا تراني فيالله ذو الجلالة والإكرام أسمعني إياي, أوصله كلماتي
 وشعوري وحالتي فأنت الأعلم بها وأنت المطلع على صدقيتي,
 نحن نحبك يا الله, ونحب رسولك, حجت رؤيتك عنا فرضينا, فلماذا
 حجت عنا رؤية حبينا رسولك الكريم, ألا تشعر بحالنا ونحن في
 حاجة إليه, نشتاق إليه, أبلغه يا الله بأن هناك أقوام لم تراه ولم
 تسمعه وتؤمن به وتحبه حبًا لا يعادله إلا حبك أنت يا الله, أخبره أننا
 في حاجة ماسة له, نعلم أيها المختار المصطفى أنك تحزن كثيرًا
 على حالنا, أصحابنا من بعدك سنة وشيعة وخوارج, صرنا أحزاب
 وقبائل وفرق وشيع, عدنا عرب وعجم, فمننا من يكفر بالله, ومننا

من يكفر غيره في الله, من بعدك نصبنا أنفسنا نواب عن السماء,
وأضحينا وكلاء عنك, فاغفر لنا يا حبيبنا يا رسول الله.

مع قرأته لتلك الكلمات أغرقت عيناه بالدمع, وتذكر محبوبة
الطفولة حينما كانت تقول لكل من هو ذاهب للحج أو العمرة إذا
رأيت قبر الرسول فأرسل له سلامتي أبلغه تحياتي, فأخذته
الذكريات لماضيه حيث بلده وحياته ودينه ووالديه قبل أن يشتريه
الشيخ منذ سبع سنوات ويلقبه بكليب الدين تيمناً بوائل من ربيعة,
ويدربه ليكن الرفيق اليوم, فتحير فكره واضطرب عقله وقلبه وسأل
نفسه للمرة الأولى, كيف سمح لنفسه أن يكون هكذا؟.

مع إرساء اليخت على شاطئ الجزيرة نزل الرفيق وسار إلى
أن وصل الأيقونة الكبرى, وتتبعه السبايا ليختار الشيخ الجميلات
منهن ليكن مع ملائكته ويرسل البقية للخدمات الغذائية, وفي
مقدمتهن روح القلوب تليها أم إسحاق, فوجد على منصة النزف
والذبح أنسيموس مكبلاً وبجواره رواية وأنيس مقيدتين بعد كشفهما,
وملحق بهما سماء والدكتور علاء بعد وصولهم من مصر, ويقابلهم
على الناحية الأخرى علا والصاقر بعد وقوعهم في شباكهم, حيث
وضعت في محيط الجزيرة أسماك صناعية قادرة على التعامل مع
أي أجسام بشرية بالتعرف عليها بالقياس الحراري وصيدها
وإرسالها للجزيرة, فهروت أم إسحاق والروح في اتجاههم, أما
الرفيق فأخذت عيناه تجول بين المحبوبة تارة وبين الأب والأم تارة

أخرى, قلبه يرتجف وتختلط مشاعره, حبًا ورعبًا, لقد عادت إليه الأسرة الحقيقية التي ظل سبع سنوات غائبًا عنها, ولكن عقله يتحير ويتساءل ما الذي أتى بهم وأوقعهم هاهنا, إلا أنه اتخذ قراره سريعًا وذهب باتجاه الشيخ الذي يلعب في ثدي ملائكته, وأمسكه بيد والأخرى أمسك بها الريموت صائحًا به:-

- ألسنت القادر ولا قادر غيرك بهذا الريموت, فلتجعله إذن ينقذك مما سأفعله بك.

وإذ به يضغط على زر لفتح البوابة السطحية للنساء القابعات بأقسام الخدمات تحت الماء ليقذفه بداخلها ليرى الشياطين على أكمل وجهها كما كان يلعبهم, ولقد استقبلوه بالفعل والسكاكين بأيديهن أحر من الجمر, ثم خطى وائل سريعًا ليصل حضن علا وعلاء بعد كل هذا الغياب والحرمان, وإن تغيرت ملامحه كلية إلا أن بملامسة الأحضان علت أصوات البكاء يخالطها الفرح والاستبشار حيث اجتمع الشمل أخيرًا وإن كان ينقصه شامل الباكي الحزين على زوجته, وأنس وقصة وبقية الرفاق.

وفي غمار هذه الأحضان الدافئة ومشاعر الفرح والسرور تسأل رواية كعادتها الفضولية:-

- وماذا سنفعل الآن؟

تنظر روح القلوب فيما حولها ثم تقول:-

- سنقوم بإعادة إحياء هذه الجزيرة ولكن على الحق من أجل هؤلاء الأطفال البريئة.

فيتدخل أنسيموس متحدثًا بعد شهر من الصمت في الحبس الانفرادي:-

- ولكن أتزوج أنا ورواية أولًا.

فيتابع وائل موجهاً عيناه اللامعة فرحًا للمحبوبة:-

- وأنا وسماء أيضًا.

فتصرخ أم إسحاق:-

- لن يتم هذا الزواج أبدًا.

ومع هذه الكلمات يصاب الصاقر برجفة ويشحب لون وجهه

وترتعش أوصاله ويسأل متلعثمًا خائفًا:-

- يا نهار أسود ومنيل, هل وائل وسماء أخوات أيضًا؟, فمنذ أن

عرفتك وأنت جعلتي العالم كله أمامي أخوة, فأخشى أن أتزوج

بعد الآن فأجدها أختي من الأب أو الأم.

فيرتعب الجميع خوفًا وفرعًا من كلام الصاقر وكأن على

رؤوسهم الطير في انتظار إجابة أم إسحاق التي تضحك ساخرة ثم

تقول:-

- لا, أقصد نستدعي قصة وأنس الأول لكي يحضروا حفل

الزواج.

فيضحك الجميع, بينما رواية وأنسيمسوس يقتربا من الصاقر
للاستفسار عن قصة الأخوة التي ذكرها فقال لهم وهو يبتسم
ساخرًا:-

- عدم السؤال من الأفضل لي ولكم وللآخرين وللجميع.

انتهى الجزء الثاني

روح القلوب

2020-10-10

المنيا- مصر